الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

المعهد: الآداب واللغات **المرجع:.....**

الشعبة :لغة و أدب عربي **التخصص :أدب قديم**

خصائص فن الرسالة عند أبي القاسم القالمي

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

إعداد الطالب(ة):
زينب فعرور

إشراف الأستاذ(ة):
حنان بومالي

السنة الجامعية : 2013/2012

إهـــداء

يسعدني أن أهدي ثمرة جهدي إلى من جعل الله في طاعتها عبادة، إلى التي قال فيها الحبيب الجنة تحت أقدام الأمهات إلى من فاض من قلبها بالحنان.

أمي زبيدة

إلى من سخر جهوده في سبيل إيصالي إلى أعلى المراتب، إلى رمز التضحية والنضال، إلى أبي الحبيب نوار أدام الله في عمره.

إلى سندي في الحياة إخواني، حمودي، عبد النور، إسماعيل، إبراهيم.

إلى خير أنيس عاشرتها طول حياتي أختي ليلى كما أهديها إلى زوجها رياض.

إلى أعز الناس التي تعطي البيت فرحا وبهجة وفوضى إلى أغلى توتة الصغيرة " عايدة"

إلى من ملك قلبي خطيبي زهير وعائلته.

إلى من جمعتني وإياهم أيام الدراسة فكان دربنا وهدفنا واحد، إلى من قضيت معهن أحلى أيامي في الجامعة فاطمة، زليخة، حياة، أميرة، مريم.

إلى من التقيت بهن، وكانت معهن عشرة طيبة، كريمة، لمياء، فاطمة.

إلى أساتذتي الكرام وعلى رأسهم، سليم بوعجاجة الذي كان بالنسبة لي الأب والأخ والأستاذ وكذلك الأستاذ فريد..... إلى جميع زملائي في العمل.

إلى جميع الطلبة قسم اللغة والأدب العربي السنة الثانية ماستر دفعة 2012م،2013م.

إلى كل من ساعدني في مشواري الدراسي من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة.

زينب

دعـــــــــــاء

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا

باليأس إذا أخفقنا

وذكرنا دائما بأن الإخفاق هو التجربة التي

تسبق النجاح

اللهم إذا أعطينا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا

وإذا أعطينا تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا

شكر وتقدير

أحمد الله حمد الشاكرين، الذي وهبني العزيمة وحب العلم،

وبعد:

يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى من كان لي عونا في إنجاز هذا العمل المتواضع.

وأتقدم بعميق شكري وخالص تقديري وإحترامي إلى الأستاذة، حنان بومالي التي منحتني من وقتها الكثير ونصحها من أجل إنجاح هذه الدراسة.

كما يسعدني أيضا أن أوجه جزيل الشكر إلى الأستاذ سليم بوعجاجة الذي لم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته العلمية.

كما أشكر أستاذة معهد الآداب واللغات وعلى رأسهم الدكتور رابح الأطرش.

كما أتوجه بالشكر إلى كل من أمدني يد العون والمساعدة من قريب أو من بعيد ولو بكلمة تشجيع لإنجاز هذا العمل.

مقدمة

شهدت البلاد المغربية مع مطلع القرن الخامس الهجري، ظهور دولة الموحدين فـــي بلاد المغرب والأندلس، ونتيجة انبعاث الحركة الأدبية في بلاد المغرب نتج عنه مـــوروث أدبي وثقافي غزير غطاه غبار النسيان، احتاج لمن ينفض عنه هذا الغبار، ويزيل ســـتار الغموض الذي يتلبس قضاياه، فالنثر لم يلق الاهتمام الكافي من قبل الباحثين هـــذا فيمـــا قيس بالشعر، الذي أخذ منهم النصيب الأوفر، فالنثر متحرر من قيود الوزن والقافية وهو بطبيعة أسلوبه أسهل و أسلس، وبالأخص فن الترسل لما له من مكانة مرموقة في المجتمع وهذا ما دفعني إلى التفكير في هذا الموضوع، وحسب إطلاعي فـــإني لـــم أعثـــر علـــى دراسات كافية حول فن الترسل في المغرب، ولعل هذا التقصير في اعتقادي راجع إلـــى الصعوبة التي تكتنفه ، ولكي أشبع فضولي ارتأيت الخوض في هذا الموضوع الذي يعـــد إرثا من تراث المغرب، وحسب اطلاعي وجدت فنا لم ينل حظه من الدراسة كغيره مـــن فنون الأدب، وعثرت على كاتب لم يسلط عليه الضوء، أما الفن فهو فن الترســـل، وأمـــا الكاتب فهو أبي القاسم عبد الرحمان القالمي، وهو كاتب غير معروف، بيد أنه من كبـــار كتاب الدولة الموحدية، وهذه الأسباب كانت مشجعة لي في الخوض في غمار هذا البحث

ولعل أبرز إشكالية مطروحة تتمثل في مدى تمكن فن الرسائل من نقل وتصوير الواقع الحضاري؟ وهل حافظت رسائل أبي القاسم القالمي على خصائص الرسالة الفنية؟

ولقد بلورت هذه الإشكالات، فكان عنوان الدراسة (خصائص فن الرسالة عنـــد أبـــي القاسم القالمي).

فجاء تقسيم الدراسة إلى مقدمة، ومدخل وفصلين، وخاتمة و ملحق، خصصت المـــدخل للحديث عن الحياة السياسية والثقافية والأدبية في عهد الموحدين، باعتبار القالمي عاش في تلك الحقبة، حيث تناولت الظروف السياسية، وذلك الصراع بينها وبين المـــرابطين، ثـــم الحديث عن الحياة الثقافية في المغرب.

ثم جاء الفصل الأول تعريفا للنثر والرسالة، ثم تعرضت إلى تطورها عبر العصور، ثم إلى أهم أنواعها، و أخيرا بنيتها.

ومن ثم كان الانتقال إلى الفصل الثاني المخصص للدراسة الفنية ، أين تعرضت إلـــى قراءة مضامين رسائل القالمي ، ثم الخصائص والسمات الفنية.

وختمت البحث بما توصلت إليه من نتائج ، ثم الملحق الذي تعرضت فيه إلى إعطـــاء لمحة عن حياة القالمي وآثاره، واقتضيت طبيعة الموضوع إتباع المنهج التـــاريخي مـــن خلال تتبع البحث على جذور الرسالة، وعلاقتها بالمكان والزمان اللـــذين نشـــأت فيهمـــا وكذلك المنهج الأسلوبي في تحليل النصوص، والوصول إلى أهم الظواهر الأسلوبية التـــي توفرت عليها رسائل القالمي .

أفاد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها (رسائل موحدية للكاتب ليفـــي بروفنصال، وأدب الرسائل في المغرب و الأندلس في القرنيين السابع والثـــامن لطـــاهر محمد توات، و أبي القاسم القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وآثاره لإسماعيل سامعي و كتاب أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري لفايز عبد النبي فلاح القسي.)

إن هذه الدراسة لا تخلوا من صعوبات، تمثلت أساسا في قلة المصـــادر والمراجـــع ونذرتها في جامعة ميلة، وأيضا عامل الزمن، وعدم المقدرة على هضم المادة، وأتمنى أن يرى بحثي هذا النور ليستفيد منه كل دارس للأدب المغربي.

وفي الأخير أتوجه بالشكر الجزيل لأستاذتي الفاضلة، وإشرافها علـــى هـــذا البحـــث وتوجيهاتها بالخبرة العلمية، والأستاذ سليم بوعجاجة.

إن هذا البحث لا يدعي أنه أحاط بكل ما يتعلق بالموضوع، لكن حسبنا أننا حاولنـــا والله الموفق وهو يهدي السبيل.

المدخل

مدخل: الحياة السياسية والثقافية في عهد الدولة الموحدية.

أولا- الحياة السياسية.

ثانيا- الحياة الثقافية والأدبية.

الحياة السياسية والثقافية في عهد الدولة الموحدية

شهدت البلاد المغربية مع مطلع القرن الخامس الهجري، قيام دولة بسطت جناحيها على البلاد المغربية والأندلسية، وتربعت على حقل خصب من العلم والمعرفة والأدب، وشملت مجالا عريضا نتيجة انبعاث الحركة الأدبية في بلاد المغرب، ترتب عنه موروث أدبي وثقافي غزير، وعلى هذا الأساس فما هو أصل تسميتهم بالموحدين ؟ وما هي الظروف التي مرت بها؟

قامت دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين، وبذلك خلفتها في حكم المغرب والأندلس، وقامت دولة الموحدين على أساسين :

الأول: أساس ديني قوامه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر .

الثاني: أساس قبلي، وهو الصراع بين قبيلة المرابطين و الموحدين .

و يرجع تأسيس هذه الدعوة إلى الفقيه العالم" محمد بن تومرت" من أهل السوس، الذي تتلمذ على يد الإمام الغزالي أثناء ذهابه إلى بغداد، ولد<< عام 485هـ في قرية تعرف (ايجليز) من قبيلة هرغة ...وتوفي عام 505هـ>>[1]

تبنى ابن تومرت في دعوته مذهب المعتزلة في الأسماء والصفات، وأنشأ رباطا للعبادة و ألف عقيدة التوحيد، حينئذ أقبلت عليه القبائل معلنة الولاء له، ولما وثق به قومه أخذ يبشرهم بأنه << المهدي المنتظر، ودعا إلى تخليص الدين من الشوائب.>>[2]

بعد أن وجد فيهم الانحلال و الانحراف عن الدين الحنيف، فأراد أن يضع للدين عهدا جديدا، حيث أطلق ابن تومرت على أنصاره تسمية << الموحدين لأنهم أول من تحدث في

1 - نهلة شهاب أحمد ، تاريخ المغرب العربي، ط1 ، دار الفكر ،عمان ، 1430هـ ـ 2010م ، ص 259.

2 – شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر(الجزائر ليبيا المغرب موريتانيا)، د ط المكتب المصري للتوزيع و المطبوعات، القاهرة، 2007م ، ص 21.

التوحيد، وعلم الكلام في المغرب، وسماهم أيضا بالمؤمنين لأنه ليس على الأرض من يؤمن إيمانهم >>[1]

غير أن ابن القطان يرى أن أصل الموحدين عند ابن تومرت هو << تلك القبائل التي ناصرته أثناء دعوته، وهي من مصمودة، وهي كالتالي:هرغة، تينملل، جدميوة، جنفيسة هنتانة>> [2]

يضيف المراكشي إلى هذه القائمة قبائل أخرى << قبيلة كومية، هسكورة، صنهاجة دكالة، جاحة، رجراجة، جزولة، لمطة .>>[3]

ومجمل القول إن منهج ابن تومرت يتكون من عدة عناصر، فهو معتزلي، وهو حزمي (مذهب ابن حزم الظاهري)، وذلك من خلال وقوفه عند ظاهر نص القرآن والسنة وهو إمامي من حيث جعل الإمامة ركنا سادسا للإسلام .

1- نهلة شهاب أحمد ، تاريخ المغرب العربي، ص 260.

2 – علي بن محمد الفاسي، ابن القطان ، نظم الجمان في أخبار الزمان ، تحقيق محمد علي مكي، د ط ، طباعة جامعة محمد الخامس، الرباط ــ المغرب، دت، ص 28.

3 – عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب،تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، 1998م ، ص 137.

إن طبيعة الموضوع المدروس تجبرنا أن نولي اهتماما كبيرا بالحياة السياسية والثقافية والأدبية في العهد الموحدي، وهذا لما في النثر الفني من علاقة وثيقة مع الجوانب المذكورة وارتباطه بواقعهم الحضاري، وعليه سنعرج ولو بصورة عامة عن هذه الفترة أو بعبارة أخرى سنوضح كل ما نرى له علاقة وطيدة بالموضوع.

أولا ــ الحياة السياسية

إن الباحث في تاريخ الدولة الموحدية، يلاحظ تشابها واضحا في المراحل التي نشأت فيها كل من الدولة المرابطية والدولة الموحدية، فقد نشأت هذه الأخيرة في جبال "درن" الوعرة المعتزلة في إقليم الوسن على يد الرجل السياسي و العالم " محمد بن تومرت " الذي رحل إلى المشرق لطلب العلم، ولما رجع إلى المغرب شرع يدعو الناس إلى التمسك بالدين وإقامة أحكام السنة وفي الوقت نفسه أخذ ينظم أنصاره بحسب قربهم وولائهم له وقسم أصحابه إلى طبقات وهي << طبقة العشرة وهم المهاجرون الأولون الدين أسرعوا في مبايعته، وآمنوا بأنه المهدي المنتظر، وسماهم الجماعة وأولهم عبد المؤمن بن علي>>[1]

أما الطبقة الثانية فهم <<أصل خمسين وقد كانوا يمثلون قبائل مختلفة من البربر >>[2] وتسمى الطبقة الثالثة بطبقة<< السبعين أعضاء هاتين الطبقتين مهمة المجلسين النيابيين>>[3]

ثم تأتي بعدها << طبقة العلماء و الطلبة وأهل الدار (أسرة المهدي و حاشيته) أما الطبقة الأخرى من السابعة إلى الثالثة عشر فهي طبقات القبائل، وهم قبيلة أهل هرغة

1- نهلة شهاب أحمد ، تاريخ المغرب العربي، ص 260.

2 – عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، د ط، مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية ، 2008، ص ص 292،293.

3- نهلة شهاب احمد، تاريخ المغرب العربي، ص260.

وقبيلة أهل تينملل، وأهل جرميوت وأهل هنتانة والحبذ من مختلف القبائل، والعزاة، أخيرا الطبقة الرابعة عشرة الرماة>>[1]

ويرجع السبب في هذا التنظيم الدقيق إلى محاولة "ابن تومرت" أن يضمن ولاء هذه القبائل.

وبهذا أصبح "ابن تومرت" رئيسا مطاعا في جماعة كبيرة من المصامدة، وقد تمكن من تكوين جيش قوي، استطاع من خلاله أن يحقق أهدافه السياسية في تكوين دولة الموحدين بعد إن استقر في تينملل و نشر نفوذه << بلغ أمره إلى أمير المرابطين علي بن يوسف تاشفين، عمل المرابطون على درء الخطر، فكان أول جيش أرسله إليهم بقيادة والي السوس أبي بكر بن محمد اللمتوني، ومن قبل بقيادة إبراهيم بن تيعشت ، ولكن الموحدين تمكنوا من دحره، وذلك في شعبان من عام 516هـ-1122م، وكان هذا أول نصر عسكري للموحدين ضد المرابطين >>[2]

وهكذا سار المهدي من نصر إلى نصر وبعد << موقعة البحيرة[3] بمدة يسيرة توفي المهدي بن تومرت في رمضان من عام 524هـ-1129م و تولى الأمر بعده عبد المؤمن بن علي >>[4] لأنه أقرب الناس إليه، و لكنه وجد صعوبة في الأمر، خاصة وأن هدفه هدم أركان دولة المرابطين.

ولم يكتف عبد المؤمن بن علي [5] بما وصل إليه أستاذه، بل كان طموحه أكبر بضمه بلاد المغرب الأدنى و الأوسط إلى المغرب، حتى يصبح المغرب كله خاضعا للموحدين.

---

[1] – نهلة شهاب أحمد ، تاريخ المغرب العربي، ص 260.

[2] – المرجع نفسه، ص 260.

[3] هي المعركة التي دارت بين المرابطين والموحدين، انتهت بهزيمة الموحدين ، وقتل عدد كبير منهم.

[4] – نهلة شهاب احمد، تاريخ المغرب العربي، ص 260 .

5– هو أبو محمد عبد المؤمن بن يعلا بن مروان ، ولد سنة 487هـ في أسرة فقيرة ، طلب العلم في ندرومة ، ثم رحل إلى ملالة أين التقى "ابن تومرت" ، كان عالما حازما ، توفي سنة 558هـ ، وهو المؤسس الأول لدولة الموحدين.

وهكذا بدأ في بسط نفوذه على المغرب فاستولى على تلمسان، بعد أن هزم جيش المرابطين بها << من سنة539هـ>>[1].

وبعد ذلك تطلع إلى فتح فاس فعزم على السير إليها << ومن هناك وجه حملته لحصار (مكناس)، ثم خرج قاصدا (مراكش)، ففتح في طريقه (سلم)، وفي مراكش كانت المعركة الأخيرة بين الموحدين و المرابطين حيث دارت الدائرة على المرابطين، و تم فتح مراكش سنة 541هـ >>[2]

وفي هذه الفترة كانت أحوال الأندلس مضربة نتيجة تخاذل و تقاعص حكام المرابطين فوجد الفرصة للقضاء على بقية سلاطين عهد المرابطين . و من أجل حماية الإسلام في الأندلس << فشد الرحال، وعقد العزم، فعبر البحر، وأستقبله أهل بستة بالترحيب، وبايعوه

و بهذا أخذت مدن الأندلس الواحدة تلوى الأخرى تتصاع للموحدين حتى فتح الأندلس سنة 556 هـ >>[3]

وهكذا ذاع صيت الموحدين في الشمال الإفريقي، و امتداد نفوذها إلى بلاد الأندلس رمز القوة للمغرب الإسلامي، و بهذا أعتبر أول من وحد المغرب العربي و ضم الأندلس إليه.

وبعد وفاة عبد المؤمن بن علي << في 27 من جمادى الأخيرة من سنة 558 هـ ، ودفن في تينملل بجوار قبر المهدي >>[4]

خلفه أكبر أبنائه محمد و بايعه الناس، و لم يقل شأنا و أهمية عن والده، خاصة و أنه

---

[1] – عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص697

[2] – شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر ، ص22

3– عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، دط، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان، 1981م،ج2،ص 279.

[4] – المرجع نفسه، ص 710.

بدأ يعمل على ازدهار المغرب و الأندلس في جميع الميادين، و لكن لم يدم طـــويلا << لأنه تولى الخلافة خمسة و أربعون يوما ثم عزل عنها >>[1]

وهكذا توالى حكام الموحدين الواحد تلوى الآخر حتى سقطت في معركة العقاب * على يد المرنيين بسبب ثورة "بني غانية"، إضافة إلى ثورات أخرى، و تعد معركة العقاب كما يذكر التاريخ << واقعة مشؤوة التي لم يقم للمسلمين بعدها قائمة تحمد، ولم تستقل الأندلس بعدها العثرة، لأن النصارى استولوا بعدها على أكثر مدن الأندلس، و يسجل التاريخ وفاة محمد الناصر بداية انهيار دولة الموحدين التي امتدت على الرغم من ذلك حتى سنة668هـــ >>[2]

هذه هي أهم الأحداث السياسية التي حدثت في العهد الموحدي ببلاد المغرب

و الأندلس وهكذا وبعد صراع طويل، وبعد أن عمرت قرابة قرن ونصف، فكانت بذلك أعظم حضارة في بلاد المغرب والأندلس، مما أتاح للحياة الفكرية والأدبية أن تنمو على وجه من الوجوه.

1- خلفاء الموحدين:

أما بالنسبة إلى خلفاء الموحدين الذين توالوا على الحكم حتى سقطت الدولة الموحدية نذكرهم وقف تسلسل الخلافة :

-أبو عبد الله المهدي بن تومرت <<515 هـــ -524هـــ .

-عبد المؤمن بن علي 524 هـــ - 558 هـــ .

- محمد بن عبد المؤمن 558 هـــ و خلع في السنة نفسها .

---

[1]- عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص 711.

*هي معركة قامت بين ملوك الإسبان النصارى انتقاما لهزيمتهم في معركة الأرك وبين جيوش الموحدين ، انتهت بهزيمة هذه الأخيرة .

[2] - عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص742.

- أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن 558 هـ - 580 هـ .
- أبو يوسف يعقوب بن يوسف الملقب بالمنصور 580 هـ - 595 هـ .
- أبو محمد عبد الله بن يعقوب الملقب بالناصر 595 هـ - 610 هـ .
- أبو يعقوب يوسف بن عبد الله بن يعقوب الملقب بالمنتصر 610 هـ - 620 هـ .
- عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن 620 هـ - 624 هـ .
- عبد الله بن يعقوب المنصور الملقب بالعادل 621 هـ - 624 هـ .
- يحي بن عبد الله الناصر 624 هـ - 627 هـ .
- إدريس بن يعقوب المنصور الملقب بالمأمون 627 هـ - 630 هـ.
- عبد الواحد بن إدريس المأمون 630 هـ - 640 هـ .
- علي بن إدريس المأمون الملقب بالسعيد 640 هـ - 646 هـ .
- أبو حفص عمر بن يعقوب المنصور الملقب بالمرتضى 646 هـ - 665 هـ .
- أبو دبوس الواثق بالله بن عمر بن عبد المؤمن بن علي 665 هـ - 668 هـ . >>[1]

هذا عرض لأهم رجال الدولة الموحدية، ولما بذلوه من جهود جبارة في سبيل المغرب العربي والأندلسي، والدفاع عن تراب الإسلام فيها، مما ينبئ عن عقيدة راسخة، وإيمان قو فما كانت دعوتهم إلا دعوة التوحيد وتجديد المفاهيم الإسلامية التي تبعث روح القوة والعزم في النفوس .

1 - جمعة حسين يوسف الجبوري ، المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين و الموحدين ، ط 1 ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، 1433 هـ - 2012 م ص، ص34، 35 . نقلا عن دولة الموحدين صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي ، علي محمد الصلابي ص 154.

ثانيا ــ الحياة الثقافية و الأدبية.

تعد دراسة الحياة الثقافية والأدبية للأي عصر من العصور، وتوضيح ما فيها من أسباب حضارية، وأبعاد ثقافية متلونة ومتنوعة، إطارا مهما لا بد منها في تبيان الأعمال الفنية الأدبية، والكشف عما فيها من إبداع وتنوع، ودراسة الخلفية الثقافية التي تغذى منها الأديب تزيد من فهمنا للنص وتذوق أعماله الأدبية والاستمتاع بها، وإذا رجعنا إلى عصر الموحدين نجده يتميز بأعمال أدبية كثيرة و متنوعة.

فبعد أن تم القضاء على دولة المرابطين، والسيطرة على ممتلكاتها بدؤوا مرحلة جديدة من مراحل تأسيس دولتهم، فكان الاهتمام بالحركة العلمية والأدبية إذ عرفت اهتماما كبيرا بمختلف العلوم والآداب، كما غابت عليهم الصبغة الدينية لأن مؤسسها كان عالما متبحرا في العلم قبل أن يكون داعية أو صاحب دعوة دينية.

فانطلقت في عهدهم حرية التفكير والبحث، وتحديد الدين و تحطيم القيود الصارمة التي فرضها المرابطين من قبلهم على العلماء والمفكرين، وقد عرف الموحدين أن أول شيء يحقق لهم أهدافهم وطموحهم هو الاهتمام بنشر التعليم، وتشجيع العلوم على اختلاف أنواعها. أضف إلى ذلك تشجيعهم للثقافة و الأدب، فكان بلاطهم لا يخل من الأدباء والشعراء فهذا << عبد المؤمن يجلس إلى الشعراء، وما أكثرهم في دولته، من أندلسيين إلى مغاربة إلى أفارقة، ومنهم إلى مصري وشامي، وعراقي، وغيرهم يحـــاورهم ويسجلهم فينثرون عليه من عقود مدائحهم كل نفيس غال>>[1]، وبهذا راجت الحركة العلمية فتفتحت العقول، وبلغ الشعب المغربي درجة عالية من الثقافة العلمية.

1- عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ط1، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان 1961 م ، ص 111 .

أولا ــ أهم المراكز الثقافية.

1- المراكز الثقافية بالمغربين الأوسط و الأدنى و الأقصى.

أ - المغرب الأوسط (الجزائر):

قبل أن نبدأ الحديث عن المراكز الثقافية للمغرب الأوسط، نشير إلى الجانب السياسي الذي كان له الفضل في ازدهار الثقافة فيه، فبعد أن << آل حكم الموحدين إلى عبد المؤمن نزع الأمر من أهل السوس قوم ابن تومرت " بالمغرب الأقصى، وجعله في قومه الجزائريين بعد أن استقدمه إليه، واجتهد في تهذيبهم و إنشائهم نشأة حربية >> [1]، حيث قضى على معظم ولاياته و خلصهم من المرابطين، فكان اهتمامه هو تنشئة أهلها ثقافيا و علميا، ومن أهم مراكز الثقافة بالمغرب الأوسط :

أ-1 تيهرت : اهتم بها عبد المؤمن << وقام بنشر مبادئ الموحدين، كما كانت بتيهرت مكتبة عظيمة شملت على نحو ثلاثمائة كتاب في مختلف العلوم و الفنون و الآداب، وقد خربت في عهد الفاطميين >> [2]

أ-2 بجاية : هي المدينة التي راجت فيها الثقافة و العلم << حيث كان الطلبة يقصدونها من كل مكان، ويتزاحمون في طلب العلم، وقد كانت مزدهرة علميا و ثقافيا لدرجة كبيرة حتى أنها لقبت مكة الصغيرة لأنها كانت ملتقى العلماء و الأدباء و الأطباء والشعراء >>[3]

---

[1] - عبد الرحمن بن محمد الجيلاني ، تاريخ الجزائر العام ، ط 4 ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، د ت ، ص 8 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 286 .

3- عبد القادر جغلول ، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم و الوسيط ، ترجمة فوضيل الحكيم ، ط 1 ، دار الحداثة للطباعة و النشر والتوزيع بيروت – لبنان ، 1982 م ، ص 60 .

أ-**3 تلمسان** : كان حظها أوفر، حيث لقيت اهتماما كبيرا من طرف أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي << كيف لا وهي موطن ولادته فقد جدد مسجدها الجامع سنة(191هـ) وبنى لنفسه قصر المشورة بها سنة 540 هـ >>[1]

ب - المغرب الأدنى (تونس) :

لم يكن أقل أهمية عن مراكز المغرب الأوسط بفضل المدينة العريقة " القيروان " التي تعد المركز العلمي و الأدبي في بلاد المغرب ، لدى أولى الموحدون العناية بها باعتبارها حلق وصل بين المغرب و الأندلس، كما كانت لها رابطة قوية مع دول المشرق نتيجة موقعها الجغرافي الذي جعلها ممرا بين المشرق والمغرب، وفي هذا قال المراكشي << وكانت القيروان هذه في قديم الزمان منذ الفتح إلى أن خربها الأعراب دار العلم بالمغرب إليها ينسب أكابر علمائه، وإليها كانت رحلت أهله في طلب العلم ... >>[2]

إضافة إلى مدينة القيروان نجد مراكز جديدة أمثال المهدية تقع في شمالي الصفاقس و التي ازدهر فيها العلم و الثقافة .

ج - المغرب الأقصى :

إن أهم المراكز الثقافية بها و أشهرها هي:

ج-1 مراكش: بناها يوسف بن تاشفين، وجعلها عاصمة لدولته، اهتم بها كل من المرابطين و الموحدين من جميع النواحي، و هي من أجمل المدن، فسيحة الأرجاء متسعة الأقطار يوجد بها المساجد الضخمة، فكان لهذه الأخيرة الدور الفعال في نشر الثقافة و التعليم بعد أن كانت مكانا للعبادة، فهناك من كان يطلق عليها << بغداد المغرب، وهي أعظم ما في بر العدوتين، و أكثر مصانعها و مبانيها الجليلة، وبساتينها، إنما ظهرت في

[1]- عبد القادر جغلول ، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم و الوسيط ، ص 287 .

[2] - المرجع نفسه، ص 287 .

مدينة بني عبد المؤمن، و كانوا يجلبون لها صناع الأندلس من جزيتهم، و ذلك مشهور معلوم >>[1]

ج-2 فـــــاس: أنشأها الأدارسة و اتخذوها عاصمة لهم، لقيت اهتماما كبيرا من قبل المرابطين والموحدين كانت << مصلى القاضي والداني بلد المدارس و الفهارس و المشايخ ألسنتها باللغات المختلفة >> [2]

فقد شهدت مدينة فاس تيارات ثقافية، و حركات علمية لاقت رواجا كبيرا في المغرب والأندلس، أضف إلى ذلك ما كان للرحلات العلمية التي قام بها طلبة فاس إلى المشرق للتزود بالمعارف والآداب، وتعد المدارس والمساجد من أهم المراكز التي لعبت دورا فعالا في تدريس تعاليم الدين الإسلامي، و من أشهر المساجد << جامع القروين الذي وضع حجر أساسه عام 245 هـ ليكون دار علم و فقه، و مركزا علميا ذا أهمية عظمى و كعبة يحج إليها الطلبة من جميع أنحاء المغرب الإسلامي >> [3]

ج-3 الـــــربـــاط : وهي ثالث المراكز الثقافية في المغرب الأقصى بعد مراكش و فاس بناها أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن و سماها (رباط الفتح) ، لعل هذه التسمية مقتبسة من القرآن الكريم قوله تعالى :<< وأعدوا لهم ما استطعـــتم من قوة ومـــن رباط الخيل >>[4]، وقوله أيضا << يأيها الذين آمنوا أصبروا وصابرو ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون >> [5] .

---

[1]- عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الإسلامي ، ص 832 .

2- جمال طه، مدينة فاس في عصر المرابطين و الموحدين ، ط1 ، دار الوفاء للطباعة و النشر، الإسكندرية / القاهرة 2002م ،ص 273 .

3- المرجع نفسه ، ص273.

[4]- سورة الأنفال ، الآية 60 .

[5] - سورة آل عمران الآية 20 .

ازدهرت فيها الحركة العلمية << فكان الرباط مدينة دين و عبادة و علم قبل أن يكون حصن دفاع ضد العدو ، كما أكدت الربط خدمتها للإسلام وللمسلمين ، فقد عصمت أهل المغرب إلـــى حد من كبير من الفـــتن التي سادت المشرق، كما كانت مثالا للـــزهد و التقشف الثقافي في سبيل الله >> [1]

1- سعدون نصر، الله تاريخ المغرب السياسي في المغرب ، ط1 ، دار النهضة العربية ، بيروت / لبنان ، 2003 م ، ص 247 .

2- مراكز الثقافة في الأندلس.

لقد كانت الأندلس مشهورة بالمراكز العلمية ، و ذات نتاج أدبي واحد وبعد أن دخل الموحدون الأندلس، و تم لهم السيطرة عليها لم يجد الموحدون صعوبة في نشر الثقافة و العلوم ، لأنهم وجدوا في الأندلس أرضا خصبة متشبعة بالثقافة العربية الأصيلة، كما تم << الامتزاج العلمي و الأدبي بين القطرين المغربي و الأندلسي حتى لنرى كتاب التراجم الأندلسيين حيث يؤلفون كتابا يمزجون فيه بين علماء القطرين >>[1]

كما ساعدت الرحلات الأندلسية إلى المشرق لتحصيل العلوم، و العودة إلى البلاد لنشرها وبخاصة رحلاتهم إلى المغرب و تحديدا إلى" فاس، مراكش، القيروان" للتزود بعلومهم، زيادة على ذلك اهتمامهم ببناء المساجد و المدارس مثلما فعل يعقوب المنصور بمنارة الخير الدا << التي شيدها في جامع إشبيلية، وترى زوجته بعد أن تبيع حليها الذهبية الخاصة، وما تملك من أحجار كريمة و كل ما قدمه لها، وتأمر أن يصنع بثمنها جميعا تفاحات ذهبية تعلو قمة المنارة ليكمل رونقا >>[2]

[1]- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي عصر الدول و الإمارات(الجزائر ، المغرب الأقصى ،موريتانيا ،السودان)،ط1، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2003م، ص 336.

[2]- المرجع نفسه ص 332 .

ثـــانيا: المؤسسات التعليمية في الدولة الموحدية.

لقد تنوعت أماكن التعليم في عهد الدولة الموحدية وذاع صيتها من مساجد، و كتاتيب و مدارس و زوايا، وعلى الرغم من هذا التنوع فقد كانت الغاية واحدة ألا وهي نشر الدين الإسلامي في مختلف أقطارها ، و تعيين اللغة العربية في أوساط المجتمع المغربي و لعل أهم المراكز التي ساهمت في نشر التعليم أنداك هي :

1- الجوامع (المساجد): لعل أهم مظاهر ازدهار و شيوع الحركة العلمية في عهد الموحدين هو الإكثار من الجوامع العلمية، وبما أن المسجد يعتبر أول مؤسسة تعليمية في تاريخ العرب اقتداء بمكان الرسول (صلى الله عيه و سلم) في حياته، حيث بنا أول مسجد في الإسلام ألا و هو المسجد الشريف (قباء) في المدينة المنورة، وجعل منه بيتا للناس و مركزا يجتمع فيه ليفسر لهم الآيات التي كانت تنزل عليه، ثم سار على منواله الخلفاء الراشدين، ولعل أشهر هذه المساجد الذي كان يشمل جامع تازة << الذي كان يشمل على تسع بلاطات عمودية على جدار القبلة، وكان في البلاط الأوسط أكثر اتساعا >> [1]

وأيضا جامع تينملل << الذي يغطي مساحة مستطيلة الشكل التي يبلغ طولها 48 م وعرضها 43.60 ، و الجامع يتسم بالانسجام و التناسق في تخطيطه و في زخارفه >> [2] وجامع القروين بفاس الذي يعد أقدم جامعة علمية في العالم العربي ، كان مقصدا للشعراء و العلماء، إضافة إلى الجامع الأعظم في تلمسان<< الذي بناه موسى بن نصر سنة 89 هـــ، وكان مركزا ثقافيا من مراكز الثقافة العربية و الإسلامية في المغرب، و إلى جانبه طنجة و قسنطينة ، و بونة ، و وهران >> [3]

[1]- عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، ص 753 .

[2]- المرجع نفسه ص 754.

كانت تدرس في هذه المساجد و الجوامع مختلف العلوم و الآداب، كما كان هناك الجامع الذي يعقدها خلفاء الموحدين مع أشياخ علماء الموحدين و كبار العلماء الوافدين من مختلف المناطق.

2 – المدارس : لم تكن المدارس أقل أهمية من المساجد فقد اهتم الموحدون في إنشاءها خاصة عبد المؤمن ، و يعود ظهورها إلى << إلى القرن الرابع و خاصة في خرسان إلى جانب المدرسة النظامية ببغداد >>[1]، وقد أسس عبد المؤمن في مراكش << مدرسة لإعداد الموظفين في الدولة و مدرسة خاصة في تعليم أمراء الموحدين و أسس مدرسة خاصة في الرباط لتعليم فن الملاحة >> [2]

وإن ذل هذا التشييد الكبير للعديد من المدارس على شيء فإنما يدل على الاهتمام المتزايد لأولي الأمر بالعلم ، و على اهتمام الموحدين في إنشاء المدارس في المغرب و كانت تدرس فيها مختلف العلوم و الآداب و الفنون، و لم تقل أهمية عن المساجد .

3 – الزوايا : كانوا يطلقون عليها اسم " أربطة " و كانت متعلقة بالنساك و التصوف كما كانت تلقى فيها الدروس الفقهية و الدينية ، وربما كانت أول زاوية عرفها المغرب << زاوية أبي محمد صالح التي أقيمت في منتصف القرن السابع الهجري بمدينة آسفى على المحيط >>[3]، كانت تلقى فيها العلوم الدينية، و يرتادها النساك و الزهاد و المتصوفة و الشيء الملاحظ هنا أن الموحدين لم يهتموا بها كثيرا، لأن جميع الدراسات المغربية لم تذكر هذا الاهتمام .

1– محمد بن تاويت ، و آخرون ، الأدب المغربي ، ط 1 ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر بيروت ، لبنان ، 1960 م ، ص 72 .

2– شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات(الجزائر،المغرب الأقصى،موريتانيا ،السودان)، ص 332.

3– المرجع نفسه، ص 333.

4 – الـــكتاتـــيب : انتشرت الكتاتيب في العالم الإسلامي، وكانت أسبق أنواع المعاهد التعليمية، وقد ظهرت في << القرن الأول هجري في كل بلدة و قرية كبيرة أو صغيرة في الوديان و على سفوح الجبال >> [1]

ويقول الحسن الوازن في حديث عن الكتاتيب بفاس أن بها << مائتي كتاب، ويشمل كل كتاب على قاعة كبيرة مع مدرجات تستخدم كمقاعد للأطفال والمعلم يعلمهم القراءة و الكتابة لا في كتاب معين، و إنما يستعين بألواح خشب >> [2]

وعليه فإن الكتاتيب لا تختلف عن الزوايا، و المساجد و المدارس في طريقة التعليم فقد كانت منتشرة في المغربين الأدنى و الأوسط .

ثالثا: أهم العلوم التي اشتهرت بالمغرب في عهد الموحدين.

اعتنى المغرب في عهد الموحدين بالعلوم الإسلامية و الفلسفية تفسيرا و حديثا .

1 – العلوم الدينية :

لاقت أجواء مناسبة، و مناخ ملائم لنموها و ازدهارها بلغت ذروتها لما لقيت من تشجيع و إقبال، و من هذه العلوم نجد :

أ –**علم القراءات :** يعد علم القراءات في مقدمة العلوم الدينية، باعتباره الأول محاولة في تفسير القرآن الكريم، و كان المغرب من أشد الأقطار الإسلامية اهتماما به. وقد وضع "المهدي " نظاما يوجب عليهم قراءة حزب من المصحف عقب صلاة الصبح و المغرب قراءة مرتلة ، وكان الأمير يوسف بن عبد المؤمن قد درس القراءة << وكان من أحسن الناس نطقا بالقرآن الكريم >> [3] ولقي بذلك احترام و إعجاب الناس بشخصيته الفقهية .

---

[1] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات(الجزائر،المغرب الأقصى،موريتانيا،السودان)،ص 330 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 330 .

[3]– عبد الواحد بن علي المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص 178 .

ب – التفـــسير : يعد التفسير الخطوة الثانية بعد علم القراءات في سبيل بيان معاني القرآن

و تفسيرها ، لهذا كان اهتمام الموحدين بالتفسير كبيرا ، وكان لهم اتصال بمفسري الأندلس يتعاونون مع بعضهم البعض .

ومن أشهر المفسرين للقرآن الكريم في المغرب الأوسط أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني، وأبرز مؤلفاته القيمة في سائر الفنون << كتاب(الدليل و البرهان) في الكلام

و المنطق و الهندسة في ثلاث أجزاء و كتاب (مرج البحر) >> [1]

ج – الحديـــث : اهتم الموحدون بدراسة علم الحديث اهتماما كبيرا في المغرب ، و حظي بمنزلة رفيعة في الأندلس، حيث كان إمامهم المهدي محدثا حافظا، وتبعه في ذلك خليفته عبد المؤمن .

ومما يدل على اهتمامهم بالحديث << أنهم أنشئوا بمراكش مجتمعا علميا أطلقوا عليه اسم بيت "الطلبة كان أشبه ببيت الحكمة الذي كان في بغداد على عهد المأمون

و جعلوا عليه رئيسا أسموه " رئيس الطلبة " أو " عميد البيت "، و كان يتولى هذا المنصب العلماء الراسخون، و يـــتولاه بعض محدثي المشـــهورين أمثال ابن القطان والقاضي المالكي >> [2]

د – علـــم الكـــلام : هو علم يتضمن الحجج ، و العقائد الإيمانية ، بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف، و أهل السنة و سر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد.

---

[1] – أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر ويليه كتاب الجزائر ، دار البصائر،الجزائر ، 2009م ص 123 .

[2]– فوزي عيسى ، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ط 1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الإسكندرية ،2007م نقلا عن النبوغ المغربي في الأدب 1 / 138 .

بدأ هذا العلم بالذيوع في المغرب تدريجيا، ويبدو أن البلاد الأندلسية كانت السباقة إلى دراسة علم الكلام من المغرب، ومما يدل على ازدهار هذا العلم في الأندلس هو أن أنه << تصدى كثير من علماء الأندلس لتدرسيه بمراكش مثل الفقيه أبي الحسن الاشبيلي الذي سمع علي ابن صاحب الصلاة قراءة عقيدة التوحيد بمراكش سنة 560 هـ، و مثل عثمان القسي الذي كان له الفضل في إقناع المغاربة بصحة العقيدة التومرتية>> [1]

2- العلوم اللغوية و النحوية : تعتبر من العلوم المكملة للثقافة الدينية و الأدبية، وهي أساس ضروري لكل باحث وعالم، ولقد وجدنا كثيرا من الفقهاء والمحدثين إلى جانب اهتمامهم الديني يؤلفون كتبا في النحو والصرف، وقد اهتم الموحدون ولا سيما العلوم اللسانية خاصة أن ابن "تومرت" << كان مهتما باللغة العربية، وقد لاق منهم اهتماما كبيرا وعلى رأس أعلامهم يوسف بن عبد المؤمن الذي كان أحفظ الناس للغة و أسرعهم فهما و نفوذ الخاطر في غامض مسائل النحو >> [2]

وانتشرت اللغة العربية بدولة الموحدين باعتبارها لغـــة البلاد الرسمية في الكـــتابات والمعاملات، كما برز في أواخر هذا العصر علماء لهم مكانة مرموقة في مراتب النحويين في المشرق و المغرب، ومن أبرزهم << ابن باجة>> و << أبي محمد عبد الله بن محمد السيد البطليوسي ت 521 هـ، و ابن مضاء جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن محمد القرطبي (ت592هـ) ..... و غيرهم >> [3]

ومن أبرز نحاة المغرب العربي << أبو موسى عيسى بن عبد العزيز مؤلف الجزولة ..وقد ألفوا أيضا في القوافي و العروض، و أشهر من كتب فيه أبو ذر مصعب

---

[1]- فوزي عيسى ، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ص 60،59.

[2]- عبد الواحد علي المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص 167 .

[3]- محمد مجيد السعيد ، الشعر في عهد المرابطين و الموحدين بالأندلس ، ط 3 ، دار الراية للنشر و التوزيع، المملكة الأردنية ، 1429 هـ - 2008 م ،ص ص 744 745.

بن مسعود الخشدي بن أحمد بن يحي بن عبد الله الأنصاري الذي برع في النحو و العروض ...>> [1]

3 – العــلوم الأدبــية :

ازدهرت حركت التأليف الأدبي في العصر الموحدي بشكل كبير، وبلغ من النضوج و التنوع إلى أن شمل مختلف مجالات الأدب << من شعر و زجل و نثر و كان من أهم بواعث هذا الازدهار تشجيع دولة الموحدين للأدب >> [2]، كما تناولوا مختلف ميادين النثر الفني<< فعالجوا النقد الأدبي ، وفق الترجمة، و السير، و المقامات، و النثر الديواني و الرسائل الإخوانية ،و التاريخ و الجغرافيا، و الرحلات >> [3]

وكان السبب في ازدهار الأدب في عهد الموحدين هو فتــح الأبواب أمام الشــعراء و الأدباء و الاهتمام بعقد الندوات، و كانت هذه الأخيرة من أهم الظواهر في الحياة الأدبية آنذاك << وكان الأمراء يحرصون على عقد هذه الندوات عقب انتصاراتهم، حيث يتبارى الشعراء في التهنئة و الإشادة بهذه الانتصارات، وكانت هذه الندوات تعقد أيضا في قصور الأمراء حيث يجتمع الشعراء الأندلسيون والمغاربة ويتبارون في إنشاء الشعر>>[4]

وقد نتج عن هذا التنافس بين المغرب والأندلس تدفق النشاط الأدبي، فظهر عدد كبير من الكتاب المشهورين من أمثال << ابن الأبار، وابن شكوال، والشقندى، وأبي المطرف بن عميرة، وقد تنوعت اتجاهات الكتابة عند هؤلاء الكتاب .>>[5]

---

[1]– محمد المنوني ، الآداب و العلوم و الفنون على عهد الموحدين ، ط 2، مطبوعات دار المغرب للتأليف و التوحيد و النشر ،الرباط 1977م ، ص 318 .

[2]– فوزي عيسى ، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ، ص 67 ، 68 .

[3] – محمد مجيد السعيد ، الشعر في عهد المرابطين و الموحدين بالأندلس ، ص 75 .

[4] – فوزي عيسى ، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ،ص 68.

[5] – المرجع نفسه، ص 70.

إضافة إلى ذلك نجد أن النثر تنوعت موضوعاته، فاتجه الكتاب إلى الموضوعات الدينية << شارك النثر في هذا المجال فاشتهر ابن الجنان برسائله في المدح النبوي .>>[1]

وما يمكن أن نقوله عن الحركة الأدبية في هذا العصر أنها تنوعت و اتسعت مجالاتها في عهد الموحدين من نثر و شعر، فظهر الشعر الديني، شعر الزهد و فن المدائح النبوية وظهر الشعر الصوفي، الذي يحمل نظريات المتصوفة و طرائقهم و توجيهاتهم .

4 – العلـــوم الفلسفيـــة: لقد كانت الفلسفة في عصر المرابطين علما ممقوتا ، فكان الفلاسفة يتعرضون للقتل والنفي إذا جاهروا بأفكارهم، فظلت أنفاس الفلاسفة مقيدة، حتى جاء الموحدون، فأتيح للفلسفة أن تزدهر في هذا العهد لاهتمامهم لها، و خاصة في عهد يوسف بن عبد المؤمن الذي أولى عناية خاصة بها ، إذ جنح إلى تعلمها أيام كان واليا بالأندلس فجمع كثيرا من أجزائها، وجمع كتبها، وقد أقبل عليها طلبة العلم، و ذاعت عند الخاصة ومن أشهر علمائها << ابن باجة (533 هـــ – 1138 م) و هو عميد الفلسفة الأندلسية

و له "مجموعة الفلسفة و الطب و الطبيعيات"، و بن طفيل(59 هـــ – 1198 م) و هو من أشهر الفلاسفة، و كان لهم شأن عظيم في عهد الموحدين، حيث قربهم ملوكهم منهم و بلغت شهرتهم الآفاق الأوروبية .

كانت العلوم في الأندلس الموحدي تعيش في عصرها الذهبي، فكما حظيت بالاهتمام الكبير إلا أنها عانت الظلم الكبير، فكيف لخلفاء أحبوا العلم أن يكون أحفادهم على عكسهم في معاقبة الفلاسفة، حيث أنهم جعلوا خلفاء الموحدين يغضبون منهم ويقتلوهم و يسجنوهم أمثال ابن رشد الذي << اتهم بالزندقة و الخروج عن الدين فأحرقت كتبه و نفي ثم عاد من منفاه قبيل وفاته. >> [2]

وما نستطيع قوله إن الأمراء في عهد الموحدين اهتموا بمختلف العلوم و الفنون

[1] – فوزي عيسى ، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ص ص70 ــ71.

2– سامي يوسف أبوزيد ، الأدب الأندلسي ، ط 1 ن دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، 1433 هـــ ، 2012 م ص43 .

و الآداب اهتماما كبيرا، فازدهر الأدب في عهدهم ازدهارا واسعا، وأسهموا في الحياة الثقافية و الفكرية، أدى إلى ظهور أعلام في شتى العلوم، و بما أن هذه الدولة ذات طابع علمي

و ثقافي فقد نشطت الحركة الأدبية و ظهرت فيها مختلف الفنون، و الأشكال الأدبية

و التي يعد فن الرسائل من أشهرها، ولعل العقول اللاحقة أن تحاول الإحاطة بهذا الفن الأدبي في شكله الموحدي .

الفصل الأول

الفصل الأول: فن الترسل قراءة في المصطلح والسيرة.

أولا– تعريف النثر لغة واصطلاحا .

ثانيا- تعريف الرسائل لغة واصطلاحا.

ثالثا- نشأة وتطور فن الرسائل.

رابعا- أنواع الرسائل.

خامسا- بنيتها

إن الإرهاصات الأولى لظهور النثر الأدبي تعود إلى العصور الأولى قبل الإسلام، أي العصر الجاهلي، وبالخصوص فن الكتابة العربية، فعلى الرغم من كونهم أهل بداوة أميون لا يعرفون الكتابة ماعدا بعضهم مثل أكتم بن صيفي خطيب العرب و حكيمهم، ولا توجد بين أيدينا أدلة مادية تؤكد أن العرب في العصر الجاهلي قد خلفوا مدونات، وهذا لا يعني أنهم لم يعرفوا الكتابة، فالنقوش المكتشفة حديثا تبرهن و تدل على أنهم عرفوا الخط و الكتابة في ذلك العصر، وهذا يدل على أن تراثنا النثري ثري خصب بفنونه المختلفة كما يدل على تاريخ أدبي حافل منذ المراحل الأولى، وظلت مراحل تطوره تتابع وتتوالى متأثرة بما سبقها، و تؤثر فيما يتلوها تمليه عناصر التحويل، و التغيير التي تفرق بين كل مرحلة وغيرها من المراحل .

وقد نالت الفنون الشعرية نصيبا وافرا على عكس الفنون النثرية التي لم تلق عناية وافرة من قبل النقاد القدامى، ما عدا شذرات عابرة، وسوف نحاول التطرق لهذا الفن الأدبي و بالخصوص فن الرسائل الذي يعد من أشكال هذا الفن الأدبي .

أولا- تعـريف النـــثر .

1- لـــــغـــة: برجوعنا إلى معاجم اللغة يتضح أن النثر مشتق من أصل مادي حسي إذ جاء في لسان العرب << نثر الليث، و النثر نثرك الشيء بيدك ترمي به متفرقا مثل نثر الجوز، و اللوز، و السكر، وكذلك نثر الحب إذا بذر هو النثار >> [1]

أما الفيروز أبادي فيعرفه قائلا: << نثر الشيء ينثره نثرا، وينثار، رماه متفرقا كنثره فانتثر و تنثر، و النثارة بالضم، و النثر بالفتح ما تناثر منه تخص بما ينتثر من المائدة فيؤكل للثواب>> [1]

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ضبط نصه وعلق حواشيه، خالد رشيد القاضي، دار صبح اديسوفت، بيروت لبنان، ط 1 1427 هـ ، 2006 م، ص 34 .

إن هذه المعاني اللغوية للفظة نثر تعني الشيء المبعثر المتفرق، ومن صفات الشيء المتفرق الامتداد و الاتساع، و الشيء الذي يبدو بهذه الصفات، ويقال أيضا<< يخيل للناظر إليه أنه كثير العدد، ومن ثم تأخذ هذه اللفظة بعد ذلك دلالة معنوية، يقال نثر الكلام أكثره، شبيها له بنثر الولد، و الرجل النثر الكثير الكلام، و رجل نثر مهذار، و مذياع للأسرار.

قال نصر بن سيار :

لقد علم الأقوام من تحلمى * * * إذا النثر الثرثار قال فاهجرا >> [1]

و النثر هنا هو الكلام الكثير تشبها له بنثر المائدة ، و نثر الولد .

و تدخل هذه اللفظة في البيئة الثقافية الأدبية بهذا المعنى – الكلام الكثير – وتقتصر على الكلام الأدبي الذي يسمو على الكلام العادي تعبيرا و معنى، كما نجد ذلك مؤكدا في معجم المنجد << نثر نثرا، رمى الشيء متفرقا، و ناثر من ينثر " فجعلناه هباء منثورا " و نثر : كلام مرسل بلا وزن و لا قافية >> [2]

ألاحظ أن لفظة نثر في إطارها اللغوي، تعني الشيء المبعثر، والحقيقة أن هذه التعاريف لا تستقيم وواقع النثر العربي، فالمتصفح لهذا الفن القولي في أزهى عصور الأدب يدرك أن به نظما وإيقاعا كما في الشعر.

2-اصطلاحا: إن النثر هو لون من ألوان التعبير الأدبي الذي يلزم الكتب بالتعبير عن قضايا مجتمعه بشكل أدبي متميز، يثير فنيا إحساسات جمالية، وانفعالات عاطفية، و لهذا فقد تعددت تعريفات النثر من قبل النقاد والأدباء، وقد استعملها هؤلاء بهذا المفهوم على أنها ذلك الكلام الفني الجيد الذي<< لم ينظم في أوزان، ويرتفع فيه صاحبه فن و مهارة

[1]– عثمان موافي ، في نظرية الأدب من قضايا الشعر و النثر في النقد العربي القديم ، دار المعرفة الجامعية ، للطبع و النشر و التوزيع ، الإسكندرية ، 2009 م ، ص 35 .

[2] – أنطوان نعمة وآخرون ،المنجد في اللغة العربية المعاصرة ،إشراف صبحي حموي، ط 2 ، دار المشرق ، بيروت لبنان ، ص 1383.

وبلاغة، ولا يكون نقــيض الوزن، والمناقــضة بين النثر و الشعر تنحصر شكلا في الوزن >>[1]

ويرى ابن خلدون من خلال تعريفه للكلام أنه ينقسم إلى الشعر و النثر فيقول << وهو الشعر الكلام الموزون المقفى، ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد، وهو القافية، وفي النثر وهو الكلام غير موزون>>[2]

نفهم من تعريف ابن خلدون للنثرأن الشعر هو القول أو الكلام الموزون المقفى، وما تبقى فهو النثر الذي لم ينل قدرا كافيا من الاهتمام .

كما أن النثر يقابل الكلام المنظوم << واعلم أن سائر العبارة في كلام العرب، إما أن يكون منظوما، وإما أن يكون منثورا، والمنظوم هو الشعر، والمنثور هو الكلام.>>[3]

نكتفي بهذا القدر من تعريف النثر بصفة عامة، الذي يكون بمثابة تمهيد مهم لموضوع البحث الذي يعد فن أدبي، وباعتبار الرسائل فن أو شكل ينتمي للنثر الفني.

[1] – رضا عبد الغني الكساسبة ، النثر الفني في عصر الموحدين وارتباطه بواقعهم الحضاري ، دط ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 2004 م، ص14.

[2] – الطاهر محمد توات ، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنيين السابع و الثامن ، دط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1993م ، ص 25.

[3] – عثمان موافي ، في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، ص 36.

ثانيا – تعريف الرسائل لغة واصطلاحا.

تعد الرسائل فنا من فنون النثر الغير السردية، لأنه نقل للذات وترجمتها بالكتابة الأدبية، وهي من الفنون القولية ذات الأهمية الكبيرة في حياة الأفراد والجماعات لما تحققه من التواصل الثقافي، والفكري بين المجتمعات المختلفة، وهذا التواصل بين المرسل والمرسل إليه، ويشترط في المرسل أن تكون له القدرة اللازمة في إتقان الكتابة و استخدام الألفاظ، والتعابير اللغوية، والأدبية والدين ،وقد عرفت مند القديم، فكان هناك تنافس شديد بين الكتاب لنيل أسمى، وأرقى المراكز الحكومية، وقد احتاج إليها المجتمع لأنها كانت وسيلة للتواصل فيما بينهم، ولقيت اهتماما من الأدباء و النقاد والمحدثين وكل عرفها على طريقته وتوجيهه.

1- تعريف الرسالة لغة: قبل أن نقف على المعنى الاصطلاحي للترسل لابد أولا من التعرض للمعنى اللغوي.

ورد في المعاجم اللغوية العربية أن الرسائل في اللغة مشتقة من المادة اللغوية رسل << رسلا كان طويلا مسترسلا رسيل الشعر، ترسل أتى بكلامه مرسلا من غير سجع في تمهل وترفق.>>[1]

وجاء في لسان العرب << الرسل والترسل في القراءة، والترسل واحد قال: وهو التحقيق بلا عجلة، وقيل بعض على أثر بعض، وترسل أي ترتيل >>[2]

و الترسل من << الرسل في الأمور، والمنطق كالتمهل و التوقر، والتثبت والترسل في الكلام و التوقر و الترفق، من غير أن يرفع صوته شديدا، والترسل في الركوب أن يبسط

[1] – أنطوان نعمة وآخرون ،المنجد في اللغة العربية المعاصرة ،إشراف صبحي حموي،ط2، دار المشرق، بيروت لبنان، 2001م، ص 551.

[2] – ابن منظور ، لسان العرب ، ص 204.

رجليه حتى يغتبيها، قال والترسل في القعود أن يتربع، ويرخي ثيابه على رجليه حولـــــه و الإرسال التوجيه >>[1]

وعليه فإن الرسالة << اسم مشتق من راسل يراسل مراسلة، ويطلق على الكلام الذي يراسل به من بعيد، وغاب واشتق منه اسم "الترسل" ومنه سمي صاحبه وهو من عرف بهذا الفن واشتهر به >>[2]

وتعني الرسالة أيضا << وسيلة التخاطب لأنها تبدو بديلا عن الأقوال التي يمكن أن يتبادلها متخاطبان أثناء الحوار.>>[3]

كل ذلك يدل على أن المراسل هو من اشترك في المراسلة مع آخر يكون بعيدا أو غائبا عنه، فالترسل والمراسلة ألفاظ مترادفة، إذ أنها جميعا تدل على معنى واحد، وهو التخاطب بالكتابة أو بلسان القلم .

أما مفهوم الترسل عند الزمخشري فهي لا تختلف عما جاء في لسان العرب فهو مشتق من << رسل راسله في كذا وبينها مكاتبات و مراسلات، وترسلوا، و أرسلة برسالة وبرسول، وأرسلت إليه أن أفعل كذا، وأرسل الله في الممم رسلا، و أرسل الفحل في أفبل ووجهت إليه أسلى أرسالا متتابعة: رسلا بعد رسل جماعة بعد جماعة و ترسل في قراءته تمهل فيها ، وتوقر و رسل قراءته : رتلها>>[4]

يبدوا واضحا أن الترسل أو الكتابة قد أخذ دلالة من هذه المعاني، ونظرا لأهميته كفن أدبي فقد عرفه قدامة بن جعفر بأن << الترسل من ترسلت أترسل ترسلا، وأنا مترسل

---

[1]– ابن منظور ، لسان العرب ، ص 205.

[2] – مصطفى البشير قط ، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم ، ط د ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، الأردن ــ عمان ، 2009م ، ص، ص، 118، 119.

[3] – مجموعة من الأساتذة ، الأدب و الأنواع الأدبية ، ترجمة طاهر حجاز ، ط1 ، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، دمشق 1985م ، ص 219.

[4]– الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر : أساس البلاغة ، ط 1، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان 1412هـــ ــ 1992م ، ص219.

كما يقال توقفت أتوقف توقفا، وأنا متوقف، ولا يقال ذلك إلا لمن يكون فعله في الرسائل مراسلة فهو مراسل وذلك إذا كان هو ومن يراسله قد اشترك في المراسلة>>[1]

وبهذا يأخذ فن الترسل أو الكتابة دلالة من هذه المعاني المذكورة لصاحب نقد النثر نجدها تنطبق فعليا على الكتب ومن مهنته، ومن طبيعتها التمهل والترفق والتثبت.

وعليه تكون المعاني، والدلالات التي تولدت من مادة (رسل)، والتي وردت في معاجم مختلفة و متنوعة على أن كلمة الترسل، وهي التمهل و الترفق يكون ذات صلة عميقة وقوية بجوهر المعنى الاصطلاحي للترسل، أي كتابة الرسائل وفن إنشائها، إذ إن هذا المعنى يحتوي ذلك المعنى اللغوي، لأن كتابة الرسائل يغلب عليها أن تتسم بالتمهل والترفق من الكاتب.

2- تعريف الرسالة في الاصطلاح:

من خلال استخلاصنا للمعاني الواردة لمادة رسل في اللغة، فإن تعريف الرسالة في الاصطلاح كما ورد في كتابات النقاد والأدباء والبلاغيين في القرنيين الرابع والخامس هي << قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعا لمشيئة الكاتب وغرضه، وأسلوبه وتكون كتابتها بعبارة بليغة، وأسلوب حسن رشيق، وألفاظ منتقاة، ومعان طريفة >>[2]و بما أن الرسالة تتناول، وتعتمد بالدرجة الأولى على الكتابة، فإنها مهمة و مفيدة، لأنها تصوير واقعي لما يجري في المجتمع .

وقد تعني الرسالة << إنشاء المراسلات على الخصوص، لأنهم يريدون به معرفة أحوال الكاتب والمكتوب إليه، من حيث الأدب و المصطلحات الخاصة الملائمة لكل طائفة

[1] – قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، د ط ، دار الكتب العلمية ، بيرت، لبنان ، 1989م ، ص95.

[2] – عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس، د ط ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، د ت، ص 448.

وهو الذي يتغير مع الأعصر، ويشتمل على المراسلات والخطب، ومقدمات لكتب لأن أساليبها متشابهة .>>[1]

ونظرا للأهمية التي تحتلها الرسائل في المجتمع فقد أصبحت من الفنون التي لقيت رواجا كبيرا، فأصبح الناس يتنافسون عليها، وذلك من أجل الوصول إلى أعلى المراتب ويكون هذا النوع الأدبي عادة في دواوين الدولة خدمة للخلفاء والوزراء، والولاة والمتصرفين في إدارة شؤون الخلافة والمجتمع في شتى المناصب الرفيعة.

ومنهم من يعرف الترسل بأنه << فن قائم على خطاب يوجهه شخص إلى شخص آخر ، أو يوجهه مقام رسمي إلى مقام رسمي آخر>>[2]

أو هي<< الكلمة الشفوية أو المكتوبة، يبلغها الرسول أو يحملها إلى من تحمل إليه وهذه الكلمة تختلف طولا وقصرا على حسب موضوعها.>>[3]؛ بمعنى أن الرسالة هي ذلك الفن البليغ من النثر الذي أذاته القلم وعماده التجويد والتهذيب ، واكتشاف الصور الأدبية الرائعة التي تحدث في النفس ارتياحا ، وإعجابا وهو ما نسميه << الكتابة الإنشائية أو الفنية، أو الأدبية التي يتأنق فيها الكاتب، ويعني بها الأدباء ويدرسها النقاد والعلماء ويحفظها، يتأدب بها الشداة في الأدب، لأنها مظهر من مظاهر البلاغة والبيان، وفيها متعة للنفس، وغداء للروح>>[4]

مما سبق نخلص إلى القول بأن الترسل مصطلح أدبي يقوم على ترجمة ما يجول في خاطر الكاتب من كلام حول العديد من المواضيع على شكل رسائل، سواء أكانت رسائل

---

[1] – جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، د ط ، مطبعة الهلال ، 1930م، ج 2 ، ص34.

[2] – غالب حسين ، بيان العرب الجديد ، ط 1، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1995م، ص 181.

[3] – عيسى خليل محسن ، أمراء الشعر الأندلسي ، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان الأردن، 1428هـ 2007م ص409.

[4] – أمين أبو الليل ، وآخرون، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ط1، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عمان الأردن 2006م ، ص 215.

ديوانية ، أم رسائل إخوانية أم أدبية تصدر من الأديب يحاول من خلالها التعبير عما يختلج نفسه في شكل كلمات يؤلف بها جمل ، وفقرات تكون من المرسل إلى المرسل إليه.

ثالثا – نشأة وتطور فن الرسائل

إن البحث عن فن الرسائل، ومراحل نشأته وتطوره، و كيفية وصوله إلى أرقى وأسمى درجات الكتابة، واحتلاله مكانة رفيعة بين فنون النثر العربي، يتطلب منا أن نشير إلى مراحل النشأة و التطور في تاريخ الأدب العربي والنثر العربي، ولعل أهم المراحل:

1- العصـــر الجـــاهلي: إن المراد بالعصر الجاهلي في تاريخ الأدب العربي هو العصر الذي يمتد أكثر من قرنيين قبل ظهور الإسلام، لأنه لم يصل إلينا من أدبه شيئا، وكانت الكتابة موجودة فيها بصورة ساذجة دون تعقيد، وتتأنق تبعا لحياة العرب البسيطة، وهذا لا يعني أن الكتابة لم تكن موجودة، ولكن لا يعرفها إلا أفذاذهم، ومن الشواهد على أن الكتابة كانت معروفة منذ العصر الجاهلي هو أن << بعض أهل البادية عرفوا الكتابة مثل أكتم بن صيفي حكيم تميم وخطيبها، و ابن أخيه حنظلة كاتب الرسول (صلى الله عليه وسلم) والمرقش الأكبر، ولبيد بن ربيعة ...>>[1]

إن وجود فنون النثر في أرقى أشكالها وأكملها ــ أي الشكل التدويني ــ يرتبط ارتباطا وثيقا بوجود الخط، وانتشار الكتابة بين الناس، ولو لم يكن الخط لبقي الشكل الشفوي، والآثار الشفوية بطبيعتها سريعة الزوال، إذ أنه ليس في مقدرة الذاكرة الجماعية أن تحفظها، وترويها للأجيال، فبدت الحاجة إلى الكتابة الأدبية، وذلك راجع إلى حاجة المجتمع إليها، فالعرب في الجاهلية استعملوها لأغراض تجارية وسياسية دون استعمالها في أي مجال أدبي نتيجة انشغالهم بالحروب، والنزاعات والزعامة والسيادة ، فلم يكن لديهم الوقت الكافي من أجل الإبداع، ولكن ظل حظ الشعر والخطابة أكبر باعتبارها وسيلة للتواصل والاتصال آنذاك، غير أن هذا لا يعني أن العرب في الجاهلية لم يعرفوا فن الرسائل، إنما هناك رسائل كانت تبعث إلى الولاة للتبادل، وتوطيد العلاقات ومن المؤكد

[1] – محمد يونس عبد العال ، في النثر العربي قضايا وفنون ونصوص ، د ط، اشراف محمد علي مكي ، الشركة العالمية للنشر لونجمان ،1996م، ص173.

أن << العرب في جاهليتهم استعملوا الرسائل بينهم للتعبير عن بعض شؤون حياتهم اليومية.>>[1]

وهناك من يرى أن بذور الرسائل كانت موجودة فمن<< يقرأ أخبار الجاهلية في كتب الأدب أو كتب التاريخ يعجب لكثرة رسائلهم آنذاك، ويكد يلمس أن كتابة الرسائل في الجاهلية أمر مألوف ميسور شائع في شتى الشؤون>>[2]

مما سبق يتضح أن الرسائل كانت معروفة و مألوفة لدى الجاهلين واستعملوها بينهم خاصة للتعبير عن بعض الشؤون المتعلقة في حياتهم.

وهناك من يرى فن الرسالة كانت أقرب إلى حد ما من الخطابة من غير تنميق، أو التزام أسلوب خاص، ولاحظ أن هناك علاقة وثيقة بين الفنيين على مستوى الشكل والموضوع << فالرسائل والخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية و قد يتشكلان أيضا من جهة الألفاظ والفواصل، فألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتاب في السهولة و العذوبة، وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل.>>[3]

على هذا الأساس فإن النثر العربي كان موجود في العصر الجاهلي، لكنه لا يصل أو يرقى إلى درجة النضج الفني، ولا يصل إلى مرحلة ظهور الجوانب الفنية للترسل، ولكن يمكن اعتبار العصر الجاهلي نقطة انطلاق إلى تأصيل النثر الفني، وما يشتمله من ترسل وغيره من الأشكال الأخرى.

2- العـــصر الإسلامـــي: هو العصر الثاني من عصور اللغة العربية، وتتحدد بدايته بظهور الدعوة الإسلامية وانتشارها، حيث أخذت شمس الدعوة تنسج أفكارا قيمة بفضل الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وعقول الصاحبة الكرام، ودعا النبي الكريم إلى العلم

[1] – محمد يونس عبد العال ، في النثر العربي قضايا وفنون ونصوص ، ص174.

[2] – المرجع نفسه، ص 174.

[3] – مصطفى البشير قط ، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، ص 119.

و المعرفة وأشاد بالقراءة والكتابة، وحث الناس عليها، وكيفية الكتابة و الأدوات المستعملة كالقلم واللوح ، والقرطاس يقول الله تعـــالى<< **ن والقلم وما يسطـــرون** >>[1]، وقوله << **والطور وكتاب مسطور في رق منشور**>>[2] ، وقوله أيضا << **بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ**>>[3]

فاتخذت الكتابة دعامة من دعائم الإسلام، حيث أن أول آية نزلت على الرسول (صلى الله عليه وسلم) قوله تعالى<< **اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم** >>[4]

هذا خير دليل على أهمية العلم الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور، ويمكن اعتبار هذا العصر عصر ازدهار فن النثر على اعتبار أن العصر الجاهلي ازدهر فيه الفن الشعري .

لقد حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن تتعلم أمته الكتابة والقراءة << فجعل فداء كل أسير من أسرى قريش في غزوة بدر الكبرى تعليم الكتابة والقراءة لعشرة من رجال المسلمين .>>[5]

وبهذا ازدادت الحاجة إلى الكتابة ذلك أنها ضرورية في تدوين القرآن الكريم، وقد << اتخذ الرسول (صلى الله عليه وسلم) كتابا يدونون ما يمليه عليهم، و خص بعضهم بكتابة الوحي، مثل عثمان وعلي، فإن غابا أبي كعب و زيد بن ثابت، وفي المصادر أسماء كثيرة للصحابة الذين كتبوا للرسول (صلى الله عليه وسلم) في حاجاته المتنوعة>>[6]

---

[1] – سورة القلم ، الآية(1).

[2] – سورة الطور ، (1ــ 3).

[3] – سورة البروج، الآية (21ــ 22).

[4] – سورة العلق ، الآية (1 ــ 5).

[5]– محمد أبو الفضل ، وآخرون ، أيام العرب في الإسلام ، ط 4، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، صيدا بيروت ، 1973م ، ص 30.

[6]– مصطفى البشير قط ، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، ص175.

لقد كان لظهور الإسلام الأثر الكبير في ازدهار النثر العربي، ولا سيما الترسل و الخطابة، ثم إن تبليغ الدعوة الإسلامية ونشرها اقتضى تطوير هذا الفن، وإلى الاستعانة بالكتابة والكتاب، حيث كانت الكتابة محدودة في العصر الجاهلي، فاتسع نطاقها في صدر الإسلام، فكان لابد من وجود عدد من كتاب مهمتهم نقل العقود والمواثيق والرسائل إلى الأمم والقبائل في مختلف أقطار الدولة، فكان للرسول كتاب كما كان لخلفائه من بعده كتاب يملون عليهم ما يهم شؤون المسلمين وحياتهم، فارتقت الكتابة واتسع نطاقها.

وعليه فإن ديوان الرسائل قد نشأ منذ ظهور الإسلام إنه << أول ديوان وضع في الإسلام، وذلك أن النبي (صلى الله علبه وسلم) كان يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة، ويكاتبونه وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام ...وكتب لتميم الداري وإخوانه بإقطاع الشام، وكتب كتاب القضية بعقد الهدنة بينه وبين قريش عام الحديبية...>>[1]

وعندما استقر الرسول(صلى الله عليه وسلم) في المدينة شرع يرسل رسائل إلى الملوك والولاة يدعوهم فيها إلى اعتناق الإسلام، فبعث إلى << كسرى ملك الفرس وهرقل ملك الروم، والنجاشي ملك الحبشة والمقوقس حاكم مصر، وإلى الأمراء والولاة والأساقفة، وإلى شيوخ القبائل العربية المختلفة.>>[2]

وقد تميزت هذه الرسائل بأن جملها أرق لما تحمله من كلمات تدل على ما يتميز به أهل الديانات السماوية، والاحترام المتبادل بين المرسل والمرسل إليه.

بعد أن تم الرسول (صلى الله عليه وسلم) رسالته في نشر الإسلام، وأتم على الناس نعمته، استلم الراية الخلفاء الراشدون، فقد كتب أبو بكر الصديق(ض) رسائل عديدة إلى << عمال الردة وأهلها، وإلى وجوه اليمن، وكذلك إلى خالد بن الوليد، والمهاجرين أبي

[1] – مصطفى البشير قط ، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم ، ص، ص176،175.

[2] – المرجع نفسه ، ص176.

أمية، وأبي عبيدة بن الجراح و المتنى بن حارثة، والعلاء الحضرمي، وعياض بن غنتم وعمرو بن العاص، وخالد بن سعيد بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان >>[1]

وفي عهد عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) شهد ازدهارا كبيرا لفن الترسل فكثرت مكاتباته إلى الخلفاء والقضاة، والحكام فكتب عدة رسائل << إلى أهل الأمصار كالبصرة والكوفة، والطائف، وكان عهده لأهل إيلياء من أشهر عهوده في عصره، أما رسائله للملوك فمن أشهرها رسالته إلى ملك الروم>>[2]

لا يختلف عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كثيرا في كتبه، وترسله عن سابقيه، فقد كان يكتب كذلك << إلى أهل الأمصار كالكوفة وغيرها، إلى العمال وأمراء الأجناد، والقائمين على الخراج، كمعاوية وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة >>[3]

وعندما انتقلت الخلافة لعلي (كرم الله وجهه) بدأت الخصومة بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، ولكن الذي ارتأى لنا هو كثرة الرسائل والمكاتبات فظهر ديوان الرسائل بصورة منظمة، وكان من أهم الدواوين التي تطورت سريعا، وراجت في المناطق الأخرى، وفي المصادر<< رسائل متنوعة منسوبة إلى الصحابة عامة مثل سليمان، وأبي الدرداء، وسعيد بن زيد، ومعاد بن جميل و الأشتر، وكذلك رسائل منسوبة إلى السيدة عائشة.>>[4]

في الختام يمكن القول إن هؤلاء الكتاب قد تأثروا بشكل كبير بالقرآن الكريم واقتبسوا العديد من الآيات والمعاني، والألفاظ مع حرصهم الشديد على وضوح المقصد، والاقتناع دون الجنوح إلى عمق فلسفي مع الإكثار من الحجج والبراهين، والإيجاز والدقة في التعبير.

[1] – مصطفى البشير قط ، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، ص 176.

[2] – المرجع نفسه، ص 177.

[3] – المرجع نفسه، ص177.

[4] – المرجع نفسه، ص 178.

وهذه الرسائل جميعها التي كتبت في هذا العصر، هي نماذج تحتدى بها وسنة تقتفى من جميع جوانبها عند بعض كتاب الدواوين في العصر.

3- العـــهد الأمـــوي: عندما اتسعت الفتوحات الإسلامية، وكثرت موارد الدولة، ولما جاء العهد الأموي نشطت وازدهرت الكتبة نتيجة اهتمام الولاة والأمراء بها، فاحتاج المجتمع إلى إنشاء الدواوين، وكان إنشاؤها قد بدأ في عهد عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)، والذي أنشأ ديوان العطاء، فلما جاء الأمويون أوجدوا دواوين أخرى كديوان الرسائل وديوان الجيش، وديوان الخاتم.

وبعد أن كانت الرسائل يغلب عليها الإملاء من قبل الملوك والولاة، أصبح الكاتب في هذه المرحلة يستقل وتظهر شخصيته، وقد تطور في << أواخر العصر الأموي حتـــى نرى (قبيصة بن دؤيب) يفحص الكتب الواردة على عبد الملك بن مروان، ويقرؤها قبل عرضها على الخليفة>>[1]

تعد هذه بداية مهمة في تاريخ تطور كتابة الرسائل بين الكتاب والملوك، لأن فيه أهمية بالغة في تطور شخصية الكاتب، فتنوعت وتعددت الموضوعات وقد كان الخليفة في أول الأمر هو الذي يملي الرسائل على كاتبه، ثم بمرور الزمن أخذ الكتاب هم الذين يعدون الرسائل ثم يعرضونها على الخليفة، وهذا ما أدى إلى تغير في صيغة الرسائل في هذا العهد.

لقد ظهر في عهد الخلفاء كتابة الدواوين << إلى العرب والموالي، فظلت كتابة الخراج في الأقاليم بلغة أهل المصر، ففي العراق وفارس بالفارسية، وفي الشام بالرومية، وفي مصر بالقبطية إلى أن حذفها طائفة من العرب في عهد بني أمية فتولوا شؤونها، ونقلوا

[1]- نصار حسين ، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ، ط 1، مكتبة النهضة المصرية ، 1954م، ص 64.

الكتابة فيها إلى اللغة العربية، ومنذ ذلك الحين اتخذ النثر العربي اتجاها جديدا قائما على التفصيل والتطويل.>>[1]

كما كانت الكتابة في بادئ الأمر تسير على السنن التي كانت عليها في صدر الإسلام من حيث البساطة و الإيجاز، و التمني و الزخرف حيث << ظهر التأنق في الرسائل و راح كتابها يتنافسون في الزخرفة، و حسن الأداء، والموسيقى الصوتية مقتبسين من أساليب الفرس و الروم .... و راحوا يصنعون للكتابة أصولا وقوانين تجري عليها و انقلبت الطبيعة و الفطرة إلى صنعة، وكان زعيم هذا الأسلوب في ذالك العهد عبد الحميد بن يحيى الذي لقب بالكاتب تعظيما لشأنه و إقرارا بفضله>>[2]

من هنا نرى أن تطور الحياة الاجتماعية و العقلية من جانب، والاحتكاك بالفرس و اليونان من جانب آخر ساعد على تطور فن الترسل و تعقد أدواته، و بهذا تأثر الكتاب الموالي بمناهج الكتابة و أساليب التعبير في لغاتهم الأصلية، فظهرت في طرائقهم سمات لم تعرفها الكتابة العربية من قبل، ومن ذلك إطالة في الرسائل و الترادف، والإسراف في التمني و الصيغة .

وبذلك كثرت مكاتبات في العصر الأموي و تعددت الرسائل بأنواعها فلما<< جاء عبد الحميد الكاتب أرسى قواعد الكتـــابة الفنية ووضع أصـــولها، فكان امتداد لمن سبقه وتجمعت فيه تجاربهم فكان خلاصة التجارب الكتابية لأعلام المترسلين في العصر الأموي>>[3]

[1] –حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، د ط ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، 1426هـ،2005م، ص 375.

[2]– المرجع نفسه ، ص 375

[3]– سامي يوسف أبو زيد ، الأدب الإسلامي و الأموي ،د ط، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، عمان ،ط1، 1433هـ ، 2012م ، ص340.

ولعل أهم ما ساعد على ازدهار الرسائل هو انتشار الترجمة، فأخذوا يترجمون الكتب الفارسية والهندية، واليونانية إلى اللغة العربية، وساعد أيضا في ظهور أنواع من الرسائل منها الرسائل السياسية << وهي ضرب من الكتابات السياسية التي شاعت في العصر الأموي، وكانت تدور بين الخلفاء وولاتهم، وقد يكتب بها الخليفة إلى أحد مناوبيه، و مما زاد في شيوعها كثرة الأحزاب السياسية المعارضة للدولة، و كثرة الفتن والثورات التي نشبت في العراق و خرسان>>[1]

إلى جانب هذا النوع هناك رسائل أخرى اجتماعية، و دينية و شخصية ممزوجة بالمحسنات البديعية و الصور البيانية، و هذا من أجل تزيينها و تنميقها، و الإكثار من الألفاظ القوية البالغة التأثير و دقة في التعبير، حيث يرى شوقي ضيف<< أن الرسائل في منتصف القرن الأول للهجرة تميزت بالتجديد و الجمال الفني، و التحبير والتنميق و التنويع في المعاني ، مع صور مختلفة من الإطناب >>[2]

بهذا يتضح أن فن الترسل قد تطور وارتقى في العصر الأموي، وابتعد عن السذاجة والنظرة القديمة، وعن الزخرف المـــنمق، وهذا راجع إلى الاحتكاك بثـــقافات الأمم الأخرى، وتلك النظم التي دعا إليها الدين الإسلامي .

4- العصر العباسي: إذا انتقلنا إلى العصر العباسي عصر الازدهار والتطور والرقي وبعد أن استقر بني عباس، احتاجت الدولة إلى الكتاب والشعراء، والأدباء لتلبية حاجات المجتمع، فظهر الكتاب يتحلون بالثقافة الكبيرة، وعمق أفكارهم حيث << راحت الرسالة في هذا العهد تتطور أيضا، وقد خرجت شيئا فشيئا عن كونها حديثا يهدف إلى التفريج

[1]- سام ي يوسف أبو زيد ، الأدب الإسلامي و الأموي ،د ط، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، عمان ،ط1، 1433هـ ، 2012م ، ص346.

[2] - شوقي ضيف ، الفن و مذاهب في النثر العربي ، ط8، دار المعارف ، د ت ، ص 106،107.

عن القلوب أو التوصية، أو ما إلى ذلك وانزلقت في تيار الزخرفة والتصنع حتى أصبحت ميدانا لإظهار البراعة .>>[1]

لقد نشطت الكتابة وانشغل بها عدد كبير من الكتاب كونها تعود عليهم بالفائدة وأرزاق كبيرة، فقد << كان الكاتب في دواوين الدولة إذا أظهر نبوغا ارتقى سريعا، وما يزال يرتقى حتى يصبح رئيس مجموعة من الدواوين، وقد يصبح وزيرا يدبر أمور الدولة كلها، فإن فاتته الوزارة أصبح واليا لمدينة كبيرة مثل إبراهيم بن المدبر الكاتب ....ومحمد بن عبد الله بن طاهر وأخيه عبيد الله.>>[2]

أي أن الكاتب أصبحت له مكانة مرموقة ومحترمة في المجتمع ، ولعل هذا كان سببا في النهوض بالكتابة لفن الرسائل حتى بلغت ذروتها، وهو ما أدى إلى تثقف الكتاب بكل ألوان الثقافات، وفي مقدمتها الثقافة اللغوية، فكان لابد من إتقان الفقه والحساب . كما اعتمدوا على الفلسفة لاحتكاكهم بعلوم اليونان وقراءة ما ترجمه من << حكمة يونانية ومأثور، وما تبادله له الاسكندر المقدوني و أرسطو من رسائل، وما نقل عن فلاسفة اليونانيين من أقوال وما نقل عن الهنود من حكم، وقصص تتصل بتدبير الملك وخاصة كتاب كليلة ودمنة.>>[3]

وبهذا فقد كان الكتاب في هذا العصر << يلتزمون الوضوح لأن رسائلهم توجه إلى العامة، ولابد من تفهم ما تسمع دون حاجة إلى شرح، أو بيان كما كانوا يلتزمون فيها شيئا من التنميق حتى تنال استحسان من يكتبون عنه من الخلفاء و الوزراء، والولاة و الأمراء والقواد>>[4]

---

[1] حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص641.

[2]– شوقي ضيف ، سلسلة تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني ، ط 12، دار المعارف ، 2001م ، ج2، ص 550.

[3]– شوقي ضيف ، سلسلة تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ،ط 1، دار المعارف ، مصر القاهرة، 1981م ،ص ص 466 ،467.

[4] – شوقي ضيف ، سلسلة تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني ، ص551.

لعل من أشهر الكتاب في هذا العصر << ابن العميد ، والقاضي الفاضل فكانا زعيمي مدرستين كبيرتين انضم إليهما عدد من الكتاب من أمثال أبي بكر الخوارزمي (383هـ ـ993م)، وأبي إسحاق الصالبي (384هـ ـ994م)، والصاحب بن العباد(385هـ ـ 995م)، وبديع الزمان الهمداني، وغيرهم ممن اقتفوا أثر ابن العميد وكانوا أئمة البلاغة العربية في ذلك العهد.>>[1]

إن معظم كتاب هذا العصر حافظوا على أسلوب، وطريقة كتابة الرسائل لدى عبد الحميد الكاتب، ودام هذا حتى أوائل القرن الرابع الهجري، حيث طرأت على كتابة الرسائل تغيرات منها: تعدد الموضوعات وأغراض الكتابة بتعدد وتنوع أعمال الدواوين وشيوع السجع القصير الفقرات غالبا، والولوع بالمحسنات البديعية، كالطباق والجناس وتضمين الحديث النبوي واقتباس من القرآن الكريم، ومن كلام البلغاء، وغيرها من التغيرات التي طرأت على الرسائل في هذه الفترة.

جملة القول: إن الكتابة في العصر العباسي وصلت إلى ذروتها، وعنصر السجع هو العنصر الأول في مذهب التصنيع ظهر منذ القرن الثاني الهجري، وفي القرن الثالث وجدناه في الرسائل السياسية أما في القرن الرابع الهجري وجدناه في الرسائل الديوانية والأدبية.

كما أن فن الترسل في العصر العباسي كان متأثرا بأسلوب عبد الحميد الكاتب الذي غلب عليه التبسيط وتوازن الفقرات، ومع القرن الرابع الهجري ظهر التأنق بأنواع البديع والسجع .

[1] – حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص 641.

5- العصر الأندلسي: سار الترسل الأندلسي على الطريقة التي سار عليها الترسل في المشرق، إذ كان من أسبق ألوان النثر الفني إلى الظهور في الأندلس، فكانت خطوته الأولى بخطوة الترسل في صدر الإسلام، وفي العهد الأموي.

كما اتخذ << ولاة الأندلس وأمراؤه منذ بداية القرن الثاني الهجري كتابا يكتبون لهم فيما يصدر عنهم من رسائل وعهود >>[1]، حيث اقتصر أدب الرسائل في القرن الثاني الهجري على بعض الكتابات الرسمية، كرسائل التوجيهات و الأوامر الإدارية، وكانت خصائصها الفنية تشبه إلى حد بعيد الخصائص التي اتسمت بها الرسائل في المشرق أيام الدولة الأموية، بالإيجاز والطبع غير ملتزم بالسجع، والبعد عن التعقيد.

ثم أخذ الترسل في الأندلس يتطور شيئا فشيئا، وذلك راجع إلى تأثر الكتاب بأساليب المشارقة، ومذاهبهم الفنية<< كأسلوب عبد الحميد الكاتب الذي يعد مبتكر أدب الرسالة الفنية في المشرق في أواخر العصر الأموي، وأول من أطال الرسائل، وأكثر التحميدات في فصول الرسائل>>[2]

وما إن جاء القرن الرابع الهجري حتى راح المترسلون يترسمون خطى البلغاء في عهد بني العباس، ولقد تطور أدب الرسائل تطورا كبيرا في الأندلس إلى أن بلغ أوجها في القرن الخامس الهجري، ومرد ذلك عوامل متعددة، يتعلق بعضها بالازدهار السياسي الذي بلغته الدولة الأموية في هذا القرن الذي يرتبط بقيام الخلافة الأموية في الأندلس>>[3] إذ كانوا يختارون الكتاب الذين يتحلون بالثقافة والبلاغة، والفصاحة وغيرها من أدوات الكتابة، وأن يكون مقــبول الصورة، سليم الجوارح، لأنه يجالس الخلــيفة و << لهذا لم يصل ابن شهيد إلى منزلة الكتابة عند المظفر ابن أبي عامر على شدة تشوقه إلى بلوغ

[1] – فايز عبد النبي فلاح القسي، أدب الرسائل في المغرب في القرن الخامس الهجري، ط1 ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان الأردن، 1409هـ 1989م، 89.

[2]– المرجع نفسه، ص 91.

[3] – المرجع نفسه، ص 147.

هذا الشرف العظيم، إذ قعد به ثقل سمعه، كما قعد بالجاحظ إفراط جحوظ عينيه، وبأبي القاسم الإفليلي ورم أنفه، ويقول ابن شهيد لابد للملك من كاتب مقبول الصورة تقع عليه عينه، وأذن ذكية تسمع منه حسه، وأنف نقي لا تذم أنفاسه عند مقاربته له...>>[1]

ومن الكتاب الذين برزوا في هذا العصر " ابن زيدون، ابن حزم، ابن شهيد، ابن برد الأكبر، لسان الدين ابن الخطيب، ابن برد الأصغر الذي روى له صاحب الذخيرة مجموعة كثيرة من الرسائل"، ومنهم أيضا << الرازي بن موسى الذي كان كاتبا بليغا>>[2]

ثم إن أدب الرسائل تطور تطورا كبيرا من الناحيتين الموضوعية والفنية، فأما الموضوعية فكانت<< كل ما يدور بين الأمراء والعمال، وأولي الأمر من تهنئات وتوصيات، وإسناد عمل من الأعمال وما إلى ذلك، وكل ما يدور بين الأصدقاء والإخوان من أمور، وما يحصل من أحوال، وما يجول من خواطر، وما يشاء من العواطف وكانت موضوعاته أيضا تلك المناظرات التي دبجتها أقلام الكاتب، وجعلتها بين الرياض والرياحين، وبين السف والقلم.>>[3]

وأما من الناحية الفنية، فقد أصبح الكتاب يهتمون بالبناء الفني للرسالة << من حيث البداية والموضوع والختام، فظهرت الرسالة في بناء فني متكامل، وقد ارتقوا كذلك بأساليبهم البيانية، وعنوا باستعمال المحسنات البديعية المختلفة من سجع، وجناس ومقابلة وازدواج مالوا إلى الإطالة، والإطناب وإلى تدعيم الرسائل بالشعر، وكثرت الألقاب والجمل الدعائية في مختلف الرسائل>>[4]

[1] – فايز عبد النبي فلاح القسي، أدب الرسائل في المغرب في القرن الخامس الهجري، ص 92.

[2] – المرجع نفسه، ص 95.

[3] – حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 927.

[4] – فايز عبد النبي فلاح القسي، أدب الرسائل في المغرب في القرن الخامس الهجري، ص 96.

وعليه يمكننا القول أن في الأندلس، واكبت جميع مظاهر الحياة الأندلسية، مما جعل لها قيمة إنسانية حفظت له قيمة ، وضمنت له بقاءه في المصادر التاريخية والأدبية.

6- العصر المغربي: تعود الإرهاصات الأولى للاهتمام المغاربة بالنثر الفني، إلى دخول العرب المسلمين بلادهم، ونقلهم لكل حضارة، وتعليمـــهم اللغة العربية إلا أن أهل المغرب رفضوا فكرته الإسلام لأنهم اعتبروهم غزاة يريدون الاستيلاء على أرضهم مما كان سببا كافيا إلى عدم استفادته من حضارة العرب الفكرية مبكرا، لذلك فقد كانت في بدايتها في بلاد المغرب محدودة الأغراض .

ثم نهض الأدب المغربي نهضة قوية، ساعد عليها الرقي السياسي الذي ساد المغرب في عهد الدولة الموحدية، إذ ولى الخلفاء عناية كبيرة بالكتابة الفنية، حتى وصلت إلى عصرها الذهبي في عهد عبد المؤمن بن علي، بعدما كانت في عهد المرابطين مصطبغة بالصبغة الأندلسية << كما امتاز الأدب آنذاك ببساطته وخلوه من الزخرف والصنعة، كما امتاز بتأثره بالطابع الديني>>[1]

ولما اتسعت آفاق العلم والرقي السياسي، والحضاري، والتفوق الاجتماعي، واهتمام الخلفاء بالكتابة الفنية، حيث << كثرت أغراض الكتابة، وتنوعت أساليبها، ومن تلك الأساليب الكتابة الديوانية وموضوعها مكاتبة الأمراء والعمال، وما يتخللها من إعلام بالحال والكتابة الأدبية، وقد انصرف إليها عدد كبير من الأدباء، وهي تشتمل الإخوانيات و المناظرات، والمقامات والتوقيعات، وما إلى ذلك، ومن أشهر الكتاب أبو جعفر بن عطية، وأبو عقيل بن عطية، وسليمان الموحدي>>[2]

[1] – محمد بن تاويت آخرون ، الأدب المغربي ، ص 132.

[2] – حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 1000.

ومن الموضوعات التي << تطرقت إليها الرسائل الرسمية ، ما كان يدور في منطقة بلدان المغرب ، ومنها ما هو مشترك بين المنطقة ، وبين الأندلس ، ومنها ما كان خارج المنطقة كالمشرق والناطق المسيحية>>[1]

وبهذا يمكن القول أن الكتابة في المغرب في تلك الفترة، كانت العمود الذي يقوم عليه النثر الفني، وهي الوسيلة التي استعملها حكام دول المغرب لنشر سياستهم، وتنظيم شؤون دولتهم، وتبليغ أخبارها لكل الناس.

كما أن الآداب المغربية لم تكن صورة للآداب الأندلسية، كما يظن بعض الأدباء بل كانت قائمة بنفسها.

وعلى العموم فالعامل الأساسي الذي ساعد على نشأة وتطور فن الترسل إنما هو الإسلام، وما تبعه من الفتوحات الإسلامية، لأن الظروف اقتضت منذ بداية الإسلام إلى استخدام الرسائل كما فعل الرسول(صلى الله عليه) عندما كان يراسل شيوخ القبائل وملوك في الدخول إلى الإسلام، وسارت الأمور على هذا النحو إلى أن أسس الأمويون ديوان الرسائل في عهد معاوية بن أبي سفيان، ثم تطور أدب الرسائل ذلك التطور الذي عرفناه في القرن الرابع الهجري.

وأما إذا انتقلنا إلى الأندلس والمغرب، ففي الأندلس سار الترسل على الطريق الذي سار عليه الترسل في المشرق، فكانت خطوته الأولى بخطوة الترسل في صدر الإسلام وفي العهد الأموي، وذلك راجع لاهتمام الملوك والولاة بها، واتسمت بالإيجاز والطبع وفي المغرب كانت في عهدها الأول محدودة الأغراض،ولما اتسعت آفاق العلم، وانتشرت الحضارة كثرت أغراض الرسائل وأساليبها.

[1] – الطاهر محمد توات ، أدب الرسائل في المغرب و الأندلس في القرنيين السابع والثامن ، دط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1993م، ص 166.

رابـــعا – أنـــواع الرسائـــل.

تشكل الرسائل الأدبية بأغراضها و ألوانها المختلفة كما هائلا في مجموع فنون النثر الأدبي، وتشغل حيزا كبيرا في إبداعه الأسلوبي و الفني، إذ هناك أنواع من الرسائل وهذه الأخيرة تكتب حسب رغبة أو حاجة المجتمع إليها، فهي مخاطبة المرسل إليه بلغة القلم والورق، باعتبارها ترجمان عما يجول في الخاطر، وتعبير عن المشاعر والأحاسيس عن واقعهم المعاش.

وتعد الرسائل من فنون النثر التي حفلت بها الكتابة الفنية، وقد تنوعت أشكالها وهي : الرسائل الديوانية والرسائل الإخوانية ، والأدبية ولكل منها خصائصها، كما قسمها النقاد إلى قسمين :

1- قسم خاص: وهي تلك الرسائل التي تدور بين الأشخاص وهي: الرسائل الإخوانية أو الأدبية ، أو الشخصية أو الاجتماعية وغيرها.

وأما تسميتها بالرسائل الخاصة فيرجع إلى << أنها تدل على أمور شخصية خاصة وغير عامة.>>[1]

وقد استطاعت الكتابة أن تصبح أداة تعبيرية تشمل على العديد من الموضوعات حتى << فاقت الشعر في ذلك بفضل ما في صناعة النثر من المرونة والتحرر من قيود الوزن والقافية>>[2]

وسوف نحاول أن نتعرض لهذه الأنواع من الرسائل مبينا كل واحدة منها خصائصها و الأغراض التي ترمي إليها :

[1] – الطاهر محمد توات ، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنيين السابع والثامن ، ص 279.

[2]– عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ،ص 449.

أ- **الرسائل الإخوانية :** هي ضرب من ضروب الرسائل التي يتبادلونها بين الأصدقاء و الإخوان في << تهنئة أو تعزية أو شكر أو شفاعة، أو عتاب وما إلى ذلك ، وهي أوسع ميدانا، وأكثر افتنانا، وأعذب بيان، وأعلى منزلة، وأسمى قدرا، وأقرب إلى الإبانة عن فكرة الكاتب وعاطفته، وأخلاق الناس ومنازعهم>>[1]. وتمسى أيضا بالرسائل << الوجدانية ويقصد بها الرسائل الأدبية التي يدبجها المبدعون إلى أهلهم، أومن يماثلهم في المنزلة من الإخوان والنظراء في غرض من الأغراض الاجتماعية، أو الثقافية في مجلس فني متميز يجلوا عواطفهم و أحاسيسهم >>[2]، وهذا النوع من الرسائل ميدان فسيح ومكان الإبداع يتنافس فيها الكتاب و الأدباء، كما تتيح لأصحابها التعبير عن عواطفهم الشخصية بأسلوب قوي و مقنع.

وتدور في كتب الأدب رسائل إخوانية دارت بين الأدباء والأهل والإخوان، وقد تعددت موضوعاتها تبعا لتعدد المشاعر والأحاسيس التي يتصف بها أصحابها، أوصلها صاحب كتاب صبح الأعشى إلى سبعة عشرة نوعا هي << التهاني، التعازي التهادي الشفاعات، الشوق، الإستزراء، الأختطاب، المودة، خطبة النساء، الاستعطاف، الاعتذار الشكوى، استماحة، الحوائج، الشكر، العتاب، السؤال عن المريض،الأخبار، المداعبة>>[3]

تميزت الرسالة الإخوانية في عهد صدر الإسلام بالبساطة والسهولة، وقد يظهر السجع أو المزاوجة، ولعل ما وصلنا من الرسائل الإخوانية في عصر النبوة قليل، وذلك راجع لعدم الاهتمام بهذا النوع من طرف الأدباء، لأنهم لم يعتبروه فنا من الفنون، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى عدم سمو، ورقي هذه الرسائل إلى مرتبة الفن، وهذا لا يعني أنه لا

[1] – أمين أبو الليل وآخرون ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ط 1، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، 2005م، ص 215.

[2] – محمد مسعود جبران، فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب المضامين والخصائص الأسلوبية ،ط 1 دار المدار الإسلامي ، بنغازي ــ ليبيا ، 2004م، ج2 ، ص 203. نقلا عن أسس النقد الأدبي ص 577.

[3] – عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ،ص 454.

يحفظ هذا النوع من الرسائل، بل إننا وجدنا رسائل إخوانية محفوظة لاحتوائها على المواعظ التي يتناقلها الناس فيما بينهم .

وليس لهذا النوع تقاليد فنية صارمة << فلم يشترط النقاد في صوغها وهيكلتها شروطا دقيقة ملتزمة، وإنما أطلقوا فيها العنان للكتاب للتعبير عن خواطرهم ومشاعرهم في غير قيد ضرورة أنه ليس بين الإخوان ما يدعوا إلى التكلف في الخطاب.>>[1]

لقد حاول النقاد أن يضعوا قواعد و أسس يتبعها الأدباء، والكتاب في كل ضرب من ضروب الرسائل الإخوانية، غير أنهم دائما يعترفون بالعجز في وضع قواعد لهذا النوع من الرسائل، وهي بذلك انتشرت وتوسعت لتشمل أغراضا عديدة ن ولذلك << أدخل في الأدب وأقبل للتخييل، والصور البيانية، والصنعة البديعية، تحتمل الاقتباس من المنثور والمنظوم، وتنافس الشعر في جل أغراضه >>[2]

وبذلك توفر للرسائل الإخوانية كتاب كثر استطاعوا أن يبثوا في النثر طاقات وقوة جديدة من طرافة التفكير ودقة التعبير.

والملاحظ أن أسلوب الرسائل الإخوانية كغيرها من الرسائل << تتطور بتطور العصر الأدبي، فقد اتصف في مرحلة من مراحله بأنه أسلوب منمق مصنوع بفنون الصنعة البديعية>>[3]

وهي أقرب إلى الأدب من الرسائل الديوانية لوجود العواطف والتخيلات ، يستطيع من خلالها الكاتب أن يطلق فيها العنان، وإظهار قدرته على الصياغة الإنشائية الأدبية فتصبح بذلك نصا أدبيا راقيا في أسلوبه ومعانيه وأفكاره.

---

[1] – محمد مسعود جبران، فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب المضامين والخصائص الأسلوبية ،ص 149.

[2]– المرجع نفسه، ص149.

[3] – التنوخي محمد، المعجم المفصل في الأدب ، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1993م، ج2، ص ،ص 478، 479.

ب- الرسائل الأدبية: الرسائل الأدبية هي نوع من أنواع الرسائل << ينشئها الكتاب و الأدباء عامة، وتكون في موضوعات أدبية بعينها .>>[1] فضلا عما ترمي إليه حال المجتمع من بذخ وترف، ومحاولة الوصول إلى معالجة هذه المشاكل باكتشاف الأسباب وإعطاء الحلول المناسبة، ومحاربتها بوسائل الكتابة الراقية.

وهي رسائل لا تطول لتصبح كتابا بل هي شبيهة بالمقالة، فقد كانت في أول الأمر شبيهة بالمراسلات بين شخصية ثم تطور مع مرور الوقت، والترسل الديواني << لا يلتقي مع المقالة الحديثة في نقطة واحدة، وهي حرية الكاتب أن يكتب ما شاء>>[2]

يتميز الأسلوب في الرسائل الأدبية << بحسن اختيار الألفاظ، وبراعة أداء المعاني مع جودة في سبك الجمل، ووضوح في الهدف مع زخرفة بديعية، وغيرها من التشبيهات والخيال الواسع.>>[3]

وتلتقي الرسالة الأدبية مع الرسالة الإخوانية في العديد من الموضوعات و الأغراض حتى أن هناك من يراها جزءا من الرسائل الإخوانية، كما يعد هذا النوع من الرسائل أقرب لمفهوم الرسائل من النوع السابق، وذلك راجع إلى نضجها الفني، وباعتبارها من << الأشكال التعبيرية التي تلبستها الرسائل الأدبية المناظرة، والمفاخرة والمحاورة والمفاضلة والمساجلة وغيرها .>>[4]

مما سبق نجد أن القسم الخاص من الرسائل كان متعلقا، وملتزما بالعادات والتقاليد مع عناية كتابتها، وهم خيرة الأدباء، فقد امتازت بالتنميق اللفظي والسجع، والمحسنات، وهو

---

[1]- سامي يوسف أبو زيد ، الأدب العباسي النثر ، ط 1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان، 1432هـ 2011م ، ص 193.

[2]- فيصل حسين طحيم العلي ، فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد، أطروحة ماجستير، إشراف محمد محمود قاسم نوفل ، جامعة النجاح الوطنية، نابل ،فلسطين ، 1422هـ 2001م، ص53.

[3]- المرجع نفسه ، ص 53.2-

[4] - محمد محمود الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي ، ط 1، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، 1999م ص، ص 8 ،9.

ما وجدناه في الرسائل الإخوانية التي تناولت موضوعات شتى، ووجدناها في مناسبات مختلفة بأسلوب فني راقي.

2- القسم الرسمي: ويشمل الرسائل الرسمية (الديوانية)

مما لا شك فيه أن الدور الذي تقدمه الكتابة للدواوين، كانت من الأمور الهامة في الدولة، فكان الديوان مدرسة يتلقى فيها الكتاب تدريبات كثيرة من أجل تعلم وإتقان الكتابة الديوانية .

كما كان الخلفاء والولاة بحاجة إلى كتاب يتقنون الكتابة، ولذلك << يختارون لدواوينهم كتابا مبرزين يحسنون تصريف القول بحنكة، واقتدار ولديهم ثقافة واسعة في ميدان الثقافة العامة، ومعرفة تامة في طرائق الكتابة وأساليبها، فكانت الكتابة في الديوان بمنزلة رفيعة يحرص الكتاب على تثقيف أنفسهم، وتجويد كتابتهم ليحظوا بها>>[1]

وعلى هذا الأساس فالرسائل الديوانية هي << التي تصدر عن دواوين الدولة وتتناول تصريف أعمال الدولة، وما يتصل بها من تولية الولاة، وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهود ومن الفتوح والجهاد، ومواسم الحج، والأعيان والأمان، وأخبار الولايات وأحوالها في المطر والخصب والجدب، وعهود الخلفاء لأبنائهم ووصايا الوزراء والحكام في تدبير السياسة والحكم>>[2]

كما يعرفها الأستاذ أحمد الشايب بأنها << ما يصدر عن الدواوين أو ترد إليها خاصة بشؤون الدولة وصالحها، تسيرا للعمل تثبتا للنظام العام، ويغلب على هذا النوع الدقة

[1]- محمود عبد الرحمان صالح ، فنون النثر في الأدب العباسي ، ط1 ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن 1432هـ 2011م، ص 72.

[2] - مصطفى البشير قط ، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، ص 124.

والسهولة في التعبير، والتقيد بالمصطلحات الحكومية والفنية والمساواة في العبارة والبراءة من التهويل والتخيل >>[1]

وهناك من الباحثين من يرجع ديوان الرسائل إلى أنه عربي النشأة وليس فارسي، ولا يوناني << فديوان الرسائل نشأة نشأة عربية خالصة، ولكنه في أثناء سيره أمدته روافد فارسية ويونانية >>[2]

أضف إلى ذلك أن هذا النوع من الرسائل يتطلب أن يكون صاحبها مزود بثقافة واسعة في جميع مجالات الحياة من << اللغة و الأدب و التاريخ، وحفظ عدد من الشواهد الشعرية والنثرية، والأقوال والحكم لاسيما القرآن الكريم والحديث الشريف، وتتصف بالأسلوب الرصين المنمق البلاغي>>[3]

وهذه الرسائل أصبحت فنا منذ العهد الأموي اختـــص به كتاب الدواوين من لهم في اللغة أمثال عبد الحميد الكاتب ، وابن العميد ، والصاحب العباد ، وكذلك كتب الرســـول (صلى الله عليه وسلم) إلى الملوك و الأمراء يدعوهم إلى الدين الإسلامي .

أما أشكال الكتابة الديوانية فأهمها << الرسائل المتبادلة التي تتعلق بأعمال الدولة ورسائل التهديد والبشائر والتوقيعات التي يكتبها الخلفاء والوزراء والقواد، وكتاب الدواوين على ما يرفع إليهم من كتابات والعهود بالخلافة...>>[4]

ويمتاز الإنشاء فيها ببسط الكلام، وهو يتناول التهنئات بالنصر وتقليد الوظائف ومكاتبات العمال والملوك و الأمراء وما إلى ذلك، والهدف من وراء هذه الرسائل هو

[1] – محمد مسعود جبران، فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب المضامين والخصائص الأسلوبية ص103، نقلا عن الأسلوب ، 113.

[2] – حسين نصار ، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ، ص، ص 68، 69.

[3] – التنوخي محمد ، المعجم المفصل في الأدب ، ص، ص 478، 479.

[4] – محمود عبد الرحمان صالح ، فنون النثر في الأدب العباسي ، ص 81.

تبيان الحقائق والوقائع بأسلوب فني هادئ واضح بعيد عن الزخرفة، كما أنها تعنى بالموضوعات الجادة الهادفة، وهذا من أجل المصلحة العامة للأمة.

مما سبق نستنتج أن الرسالة الرسمية هي ما كانت موضوعاتها تدور حول السلطة وعلاقاتها برعاياها في الأمور الدينية ذات الشأن، كما أنها يجب أن تبتعد في صياغتها كل البعد عن الأساليب الشعرية، وهذا لإعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال.

خامسا – بنيتها.

تعتبر الرسائل من الأشكال النثرية التي حفلت بها صناعة الكتابة منذ القديم، وقد وصفت بالصناعة والفن كغيرها من الفنون الأدبية الأخرى، من شعر وخطابة حيث خصصت للرسائل مؤلفات خاصة بها باعتبارها فنا أدبيا متميزا ومتأنقا عن غيره من الأنواع النثرية الأخرى، ولهذا فقد حظيت باهتمام خاص وكبير من قبل النقاد القدامى ولاشك أن الخصائص البنائية للرسائل تفرض علينا الكشف عن أوضاعها الاجتماعية و الثقافية المصاحبة لها، لفهم التطور الذي لحق بقواعد الكتابة.

وتجدر الإشارة إلى أن بنية الرسائل في العهد الموحدي امتازت بسملت وصفات فنية رائعة، والتي أبدع فيها أدباؤها وكتابها الذين تركوا نتاجا طيبا، ويمكن استخراج السمات العامة من حيث البناء والأسلوب، وذلك راجع إلى ما تحتويه عليه من تشابه وتمايز في مجموع الرسائل الموحدية من خلال الاطلاع على بعضها، حيث وجدنا أن هذه الرسائل تتبع مسلكا واحدا في أغلبيتها تحدها العناصر الآتية:

1 من ...
2 إلى...
3 سلام ..
4 أما بعد..
5 الحمدلة
6 الصلاة على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وآله وصحبه.
7 الترضية على الإمام المعصوم المهدي
8 كتابنا
9 مكان الإصدار

وقد سار على هذا النهج من البناء الكاتب أبو جعفر بن عطية و أبو الحسن بن عياش وأبو القاسم القالمي، الذين يشتركون في معظم السمات العامة المتعلقة ببناء الرسائل

ولكننا نجد اختلافا في بنية الرسائل عند الكاتب أبي الحسن بن عياش وتتمثل طريقته من خلال اطلاعنا على نموذج من رسائله :

1 البسملة
2 الصلاة على العلامة السلطانية
3 من ...
4 إلى
5 سلام
6 التحميد
7 الشكر
8 الصلاة على الرسول الكريم وآله وصحبه
9 الترضية على الإمام المعصوم
10 الدعاء لأمير المؤمنين علي بن عبد المؤمن
11 إن كتبناه
12 مكان الإصدار
13 التوصية بالتقوى

هذا هو الهيكل الرسمي الذي كان سائدا في العهد الموحدي في بلاد المغرب والأندلس، لكن بعض هذه العناصر لم تكن تتسم بالاستقرار كما رأينا آلفا، وإنما بالتغير المستمر عن طريق التعديل أو الحذف، أو التقديم والتأخير، ومن الملاحظ أن << الدعاء كان يتكرر كل ما ذكر المرسل و المرسل إليه، والمكان الذي يصدر منه الخطاب ، هذا بالإضافة إلى التحية التي تذكر قبل البعدية وقبل الختام>>[1]

هذا الاختلاف في بنية الرسائل في العهد الموحدي كان نتيجة التطور والتحول التدريجي الذي ينسجم مع طبيعة الأمور وسنن التغير، وتعاون القدرات والمواهب والخبرة الفنية في بلورة سمات هذه الطرائق أدت إلى تطور كتابة الرسائل في هذا العهد.

[1] – الطاهر محمد توات ، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنيين السابع والثامن ، ص، ص 382،381.

مما سبق نخلص إلى أن فن الترسل عبر مراحل تطوره ونشأته، وما يندرج تحتها من أنواع أضرب، وكيفية بنائها، كانت له مكانته المرموقة منذ القديم، وإن كانت قليلة ثم بدأ في التطور، وكان العامل الأساسي الذي ساعد على هذا التطور هو الإسلام وما تبعه من الفتوحات الإسلامية التي أدت بدورها إلى إحداث تطورات في العديد من الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية، وسارت الأمور على هذا النحو إلى أن أسس الأمويون ديوان الرسائل، ثم تطور الديوان وتطور أدب الرسائل.

وبهذا أصبح للرسائل قيمة كبرى، واحتلت منزلة رفيعة في المجتمع مما أدى إلى ظهور عدة أنواع منها الإخوانية و الأدبية والديوانية، هذه الأخيرة التي كان لها دورها الفعال في تنظيم الحياة الدينية والدنيوية للمسلمين، ولهذا وجدنا الكثير ومنذ القديم ممن اهتموا بهذا النوع من الأشكال النثرية حتى أصبح الوسيلة والأداة الفعالة للتعبير عما يجول في الخواطر من آراء وأفكار، وعما يحس به من أحاسيس وعواطف دون عائق فني يعوق المنشئ كما هو معروف عند الشعر ــ الوزن والقافيةــ وبمعنى أوضح فإن أدب الرسائل عبر ولازال يعبر عن الأفكار، وذلك بكل دقة ووضوح وإسهاب بفضل طبيعة النثر التي تنعدم فيها تلك القيود الشكلية المقيدة للمنشئ والتي تتمثل في الفن الشعري.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: الخصائص الفنية والأسلوبية لرسائل أبي القاسم القالمي.

أولا- قراءة في المضامين.

1- الرسالة الأولى تحت رقم 21 في رسائل موحدية.

2- الرسالة الثانية تحت رقم 22 في رسائل موحدية.

3 - الرسالة الثالثة بعنوان (رسالة الخليفة يوسف إلى الطلبة الغزاة بإفريقية).

ثانيا- قراءة في الفني والجمالي .

1- البناء اللغوي.

أ- المعجم اللغوي.

ب - التراكيب.

2- البناء البلاغي.

أ- علم البديع.

ب - علم المعاني.

ج - علم البيان.

أولا ــ قراءة في المضامين.

1- الرسالة الأولى تحت رقم 21 في رسائل موحدية.

هذه الرسالة كتبها لأمير المؤمنين معلما فيها بهزيمة عرب افريقية وذلك في قولـــه << من أمير المؤمنين..>> [1] موجهة إلى الطلبة والشيوخ، والأعيان والكافة، وتضمنت بعد المقدمة عبارات التحميد والشكر لنعم الله تعالى، والنصر الذي تحقق بفضل معونته والذي عد بالفتح الجسيم، ثم الصلاة على محمد عبده ورسوله، والحمد والثناء له والتشييد على مكارم الأخلاق ثم تبين معالم غزو عرب إفريقية لاسيما قبيلة "بني رياح" الذي كان من الصعب السيطرة عليها، كما قام بذكر بعض القبائل المنتمية إلى قبيلة الرياح غمرتهم السعادة لهزيمتها، وأعلنت ولاءها للموحدين بجميع الأنفس والأموال، والأولاد منهم "بني محمد" التي تغمدتهم الرحمة واكتنفتهم النعمة فنجو من النار والعصمة.

أما "جشم" بأكملها ذهبت مذهب الانتقال من قبيلة "الرياحي" وتوحدت، وخضعت للموحدين معلنة الولاء لها، كما ذكر القالمي<< وتحركت بها لها أهلا ومالا من الأثقال وهم بمجلدات أهل التوحيد معسكرون...>>[2]، وهذه القبائل أخذت على نفسها عهدا بالمحاربة في صفوف جيش الموحدين، والتي تحول إلى الغرب برجالها، ومالها و أولادها ومواشيها إضافة إلى ذلك نجد أن قبائل "الأثبج" و"زغبة" قد مدت إليها يد المساعدة ويختم الرسالة بالدعوة إلى نشر البشائر والنجاح والفوز بهذا الفتح الكبير.

[1] - ليفي بروفانصال ،مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، د ط، رباط الفتح، المغرب الأقصى 1941م، ج 10، ص 119.

[2]- المرجع نفسه ، ص 119.

2- الرسالة الثانية تحت رقم 22 في رسائل موحدية.

هذه الرسالة بعث بها الخليفة "يوسف بن عبد المؤمن من اشبيلية يخبر فيها بإرسال الموحدين لصد ومحاربة النصارى، وقد بدأ مقدمته بالحمد لله، وبعد المقدمة تتحدث الرسالة عن تلقي البشائر بالنصر الذي حققه جيش الموحدين في قوله<< فتوحا آزفة يفتحونها>>[1] ثم تخبر أن الخليفة لم يكن مقامه بالأندلس إلا من أجل المحافظة على الدين الحنيف، وصد غزوات العدو، وبعد ذلك حديث عما فعله النصارى في أرض المسلمين من قتل و أسر ونهب، وأنهم أشد كفرة وعتوا على الرحمان، ثم تذكر الأعمال الجبارة والنصر العظيم الذي حققه الجيش الموحدي الذي أرسل لهذا الغرض إلـــى آخر " فحص هلال"، وتختتم الرسالة بالفتح، وهو فتح لفتوح أخرى إنشاء الله.

3- الرسالة الثالثة بعنوان (رسالة الخليفة يوسف إلى الطلبة الغزاة بإفريقية).

الرسالة موجهة من الخليفة يوسف، إذ يعلمهم فيها بأن رسالتهم التي أرسلوا بها من ظاهر قسنطينة، قد وصلت إليهم البشائر والمسرات لديكم، وتذكر برسائل الخليفة السابقة إليهم وتبين الأخبار التي وصلت إليهم، والهدوء الذي يعم تلك المناطق، وإذاعة الأمن فيها، وقد تفرغ الناس لمصالحهم فزال عنهم القحط والجدب، وكثرت الخيرات، وظهور البركات، وإرسال الرحمة، وتشيد الرسالة بتنفيذ توجيهات الخليفة ونصائح الموحدين الذين خضعوا من قبل، ثم تدعوهم إلى الرفق بهؤلاء وغيرهم ممن دخلوا في طاعتهم، وولائهم لاسيما عرب البدو الذين دخلوا تحت رايتهم ولواء دولة الموحدين.

وعلى ما يبدو حسب مضمون الرسالة أن جلهم استجاب لدعوة التوحيد في الانضمام لجيش الموحدين من أجل مشاركتهم في معاركه وعملياته العسكرية.

---

[1]- إسماعيل سامعي، أبي القاسم القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وأثاره، دط، دار الفجر، 1428هـ ،2006 م ص37 .

ثانيا ــ قراءة في الفني والجمالي.

لما كانت الرسائل الديوانية تصدر عن حضرة الخليفة والأمراء، والحكام وتتحدث بلسانه فلا بد من أن يبدل منشؤها في صياغتها جهدا كبيرا، وأن يسخر كل إمكانياته اللغوية والأسلوبية والثقافية بأحسن وجه وأحسن صورة، وأجمل رونق، وأن ينمقها بالألفاظ الرقيقة العذبة، وبالعبارات الرصينة، معززا إياها بما يختزن في ملكته من التراث الديني والأدبي، وما يعرفه من أخبار وتاريخ وقصص، ومواعظ وحكم، وقد يميل أحيانا إلى الجزالة والبساطة في ألفاظه، وعباراته حتى يعطي كل مقام ما يستحقه من مقال فيجيد التعبير في كل ما يطلب منه.

ولكون كتاب السلطة يعالجون موضوعات متنوعة، ومتعددة ويعبرون بها عن توجهات الحكام، ووصاياهم وآرائهم في مختلف القضايا والشؤون، فإن طبيعة عملهم تتطلب منهم بالضرورة ثقافة موسوعية، وخزينا معرفيا والمعلومات الأدبية، والدينية و التاريخية، ليكون الكاتب قادرا ومتمكنا من تناول تلك الموضوعات، والتعبير عنها بوضوح، ودقة تحققان هدف ومرامي المكتوب عنه وغايته، وتصيبان عما يجول في خلجات نفسه، ومن وقفة مع القالمي ندرك أنه كان يتمتع بكل ما تتطلبه هذه الصنعة من قدرات ذاتية، ومواهب وصفات .

كما نلمس بجلاء أن نثره الديواني كان يتسم بخصائص فنية معينة، ويتحلى بسمات ومزينات أسلوبية مميزة، تعكس ما تزخر به ذاكرته من فيض المعارف التراثية بشتى صنوفها وألوانها، ويمكن أن نحصر ما تجلت به رسائله من خصائص فنية فيما يأتي:

1- البناء اللغوي

إن اللغة هي المادة الأساسية التي تتكون منها الأشكال النثرية فتجعل منها أشكالا لها قيمتها و مكانتها الأدبية، و صورتها الإبداعية التي تميزها عن بقية الفنون الأدبية الأخرى باعتبارها فنا من فنون الإبداع الأخرى، كالموسيقى و الرسم و الرقص و غيرها، فالأديب يمكن أن يبدع في أي مجال أدبي مثل الفنان إذا استطاع التحكم في اللغة، وكيفية استخدامها، إضافة إلى الخلفية المعرفية بكل الفنون و الآداب و العلوم، فيخرج العمل الأدبي إلى الوجود في أحسن صورة لأن اللغة مرآة عاكسة للمجتمع، و هي أداة للتواصل بين المبدع و المتلقي .

ولعل أهم ميزة طبعت لغة العهد الموحدي اصطباغها بالصبغة الدينية باعتبار ألفاظها مستوحاة من القرآن والحديث الشريف، وهذا ما لمسناه في رسائل أبي القاسم القالمي و غيره من الكتاب، وهذا يستدعي منا الحديث عن معجمية هذه الرسائل .

أ- المعجم اللغوي

يعد أبي القاسم عبد الرحمن القالمي من كتاب الدولة الموحدية، إذ كتب ثلاث رسائل ديوانية منسوبة إليه، ومن دراستنا لها تبين لنا أنه اختار الألفاظ حسب الموضوع الذي عالجه، حيث لمسنا في لغته جزالة و رصانة قوية ممزوجة بالهدوء و العذوبة، وقد تفاوت ألفاظه وتنوعت في دلالتها، وهي ألفاظ دالة على العدد، وأخرى في الاستعطاف و العقيدة والدين وألفاظ دالة على الوعظ والنصح، فالوضع المضطرب الذي عاشته دولة الموحدين نتيجة الصراع الذي كان قائما بينها وبين دولة المرابطين، استدعى ظهور الفتن و الحروب لكن ذلك لم يمنع وجود فترات من الهدوء و الاستقرار السياسي حيث وجدنا بعض الألفاظ التي تدل على الفرح و السعادة و النصر، ومن هذه الألفاظ مثلا (النجح الفتوح، المسرات الابتهاج، فتح، التوفيق، الإسعاد، ينصر، بنصره، الفرج، الصباح نعمة، الخيرات، الظفر الفوائد، النور، آمال، الرحمة، السعيد، الخير، الترغيب).

وهذه الألفاظ الدالة على الفرح و السعادة التي جاءت في رسائله وقد أكثر منها، نظرا للأهمية التي قدمتها في إثارة مشاعر الأنصار ورفع معنوياتهم، وتشجيعهم على الجهاد وتظهر هذه الألفاظ في إحدى رسائله << و هذا الفتح وفقكم الله و أعانكم و إن كان عظيما في نفسه، عاليا في جنسه فإنه للفتوح الآزفة مفتاح، وبين يدي السعي فيها مصباح وإنه رائد الفتوح المنتظرة وعنوان الخيرات الميسرة، ونازل من الفتوح الآتية بمحل الباكر من الثمرة، لما أسرب فيه أولياء الله و أنصار الحق وجدوا عز الغلب واستحلوا من مدامة النصر و توطأهم من طريق الظفر >>[1]

و جاء في الرسالة التي بعث إلى الطلبة الغزاة قوله << ...و ما كان عند ذالك من استنباط الأمثال، و عموم الجدل و الابتهاج إلى آخر ما قررتموه من ذلك وبينتموه و أوضحتموه منه و سرحتموه، و الحمد لله الواجب ما آتى من نجح، وأتى من و منح من فتح وأسدى من فضل، وهو المسؤول أسباغ نعمه، إكمال فواضله، و إجراء أولياء أمره على ما عودهم من الأنجاد، و عرفهم من التوفيق و الإسعاد، فيما يطهر دينه و يعلي كلمته، وينصر حزبه و يؤيد أمره، فله الحمد الدائم و الشكر المتصل >>[2].

إن هذه الألفاظ قوية في دلالتها هادفة ومعبرة، مستوحاة من واقعها المعاش كما أنها فخمة، وفيها تجديد، و هذا راجع إلى مكانة القالمي ومكانة دولة الموحدين التي ازدهرت فيها الرسائل و خاصة الديوانية منها.

كما اهتدى القالمي إلى استخدام الألفاظ التي تدل على العدو، و تصويره في أبشع صورة، لأنه يظن أنهم أصل مكر و بغض، وعلى الرغم من قلة هذه الألفاظ إلا أنها حققـــت الغرض المقصود، فجاءت مستقرة و هذا ما أكسبها قوة و مكانة كبيرة في رسائله كقوله:

1- ليفي بروفنصال،،مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، الرسالة22 ، ص125.

2- إسماعيل سامعي ، أبي القاسم القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته و أثاره، ص46.

<< الحمد لله الذي قدم لأوليائه أمره فيمـــا يرمونه من تدويخ العدو و قهره يومـــا علـــى الكافرين عصيا، وضع لهم في إبراز الكفرة إلـــى مضاجعهم و سوقهم علـــى قدم الاعتزاز صنعا عجيبـــا>>[1]، و أيضا << وطهر هذه الأرجاء من متعاقدي الظلم و الكفر >>[2] و مثله .

<< وصدور المؤمـــنين من أعدائه وأعدائـــهم شفيـــت... وآثار الكـــفر طمست بمـــظهر الإيمان >>[3]، و قوله أيضا << مرابطة في مصاقبة العدو قهره الله و استباحة أعدائها بلغنا أن رجالا من ذممي النصارى و قمهم الله>>[4] أهم هذه الألفاظ التي جاءت في بعض هذه المقاطع هي (تدويخ، العدو، قهره، الكفرة، أعدائه، طمست، وقمهم)، و رغم قلتها إلا أنها استطاعت أن تحط من قيمة أعدائهم، حيث حملت هذه الألفاظ من العنف والقوة ما منحها مكانة مرموقة داخل الرسالة، فأدرك الموحدون حقيقة النصارى، و غيرهم من الأعداء فحاربوهم و استجابوا لدعوة الموحدين، و هذا يصور لنا العداء الكبير الذي كان قائما بين الدولة الموحدية و أعدائها في الداخل و الخارج .

يضاف إلى ما سبق الألفاظ التي تدل على العقيدة، والدعوة التي تتجسد فيها النزعة الدينية بحدة على الرغم من قصر رسائله، حيث نلاحظ كثرة استخدامه للفظ الجلالة الله وبعض الألفاظ الدينية الأخرى المتصلة به .

لقد استعمل القالمي ألفاظ كثيرة تدل على عمق عقيدتهم الدينية ، والتمسك بالإسلام إذ استعملها بكل دقة و منها (الله، الحمد ، المعروف، الإمام ، محمد ، الإيمان ، الهداية الربانية، الأنفال، التوحيد، المؤمـــنين، تقوى، الدين، النبي، الرســـول، الصحابة المهدي) مثل هذه الألفاظ استعملها القالمي في رسائله ، فكـــان اختياره لها لما فيها من توضيح

---

[1] - ليفي بروفنصال ،مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، الرسالة 21، صّ121.

[2] – المصدر نفسه ، ص 117

[3] – المصدر نفسه، ص 114

[4] – المصدر نفسه ، ص 122

لصورة العقيدة الدينية، والإسلام في عهد الدولة الموحدية ، وتصـــوير حالة الموحدين في تلك الفترة ، فكثرت في رسائله ، ومن أمثلة ذلك قوله<< والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى ، والعمل بطاعته والاستعانة به ، والتوكل عليه ، وأن تعلموا أن هذا الأمر العالي وما ناط به من إظهار الدين ونصر الملة>>[1]

وقوله << من أمير المؤمنين ــ أيده الله بنصره و أمده بمعونته ــ إلى الطلبة والشيوخ والأعيان والكافة من الموحدين من أهل فاس أعزهم الله بتقواه، وأدام كرامتهم بحسناه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته>>[2] ، ومثله << نحمد الله الذي لا إلـــه إلا هو ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله، ونسأله الرضى عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم، القائم بأمر الله تعالى، والداعي إلى سبيله، ونوالي الدعاء لصاحبه وخليفته الإمام أمير المؤمنين ممشى أمره العزيز إلى غاية تتميمه وتكميله>>[3]

إن الألفاظ الدالة على الدعوة والعقيدة الدينية تحمل في طياتها مبادئ الموحدين في بلاد المغرب، فقد كان الهدف من توظيف هذه الألفاظ الدينية هو تحريك الدعوة الموحدية التي جاء بها "ابن تومرت"، ونشر مبادئها، إذ تمكن القالمي من استخدامها أدبيا وسياسيا في الوقت نفسه، وبالتالي استمالة عقول الناس، وتحريك مشاعرهم وعواطفهـــم وتحفيزهم لمحاربة العدو ن وكسر سلطتهم.

كما وظف القالمي ألفاظا تدل على النصح والإرشاد وتتلخص فيما يأتي:

(فاعتبروا، فاشرحوا، أعقدوا، أقيموا، نوصيكم) فهي تتمحور في الرسالة التي يعلم فيها بهزيمة عرب إفريقية حين يقول<< فاعتبروا ــ وفقكم الله ــ بهذه الدلائل اللائحة

[1] – ليفي بروفنصال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، رقم الرسالة 21 ، ص 122.

[2] – المصدر نفسه، ص 113.

[3] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمان القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وآثاره ، ص، ص 45، 46.

والبراهين الواضحة، فبشراكم اليوم بشراكم، وما أحلقكم به وأجراكم، فاشرحوا ــ أعزهكم الله ــ صدوركم وأقيموا بهذه البشائر أموركم، وأشعروا بها جمهوركم، واعقدوا بإهدائها جدلكم وسروركم>>[1] ومثله << والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى، والعمل بطاعته والاستعانة به، والتوكل عليه>>[2]، وقوله << واشكروه شكر من يرغب في مزيده ويحرص على دوام صنعه الجميل وتجديده .>>[3]

لقد عمل الخلفاء والأمراء، والأدباء في تلك الحقبة على دعوة الناس إلى الدين الحنيف ونصحهم على تغير ما هم عليهم من الفساد، والانحراف، والانحلال الخلقي وبما أن دولة الموحدين قامت على الدين والعمل به، فكانت الألفاظ التي جاء بها القالمي تحمل هذه الدلالات، إذ وظف ألفاظ، تدل النصح والإرشاد.

كما لجأ القالمي إلى الألفاظ المعبرة على الاستعطاف، والحزن فاختيار عبارات تؤثر في نفوس القراء، فيتفاعلون مع صاحبها، ولكننا لم نجد ألفاظا كثيرة في رسائله إلا نزرا قليلا نحو(رحمة، عطفوا، دائها، القطع، الاستئصال، الذميم، النار)، وتتلخص في قولـــه << حال القطع لدابرهم والاستئصال لشافتهم في أجمل صور الترتيب.>>[4] وقوله << في حم دائها واستباحة أعدائها>>[5].

وقوله << بمليم النار وعرف الكافر لمن عقبي النار>>[6]، إن هذه الألفاظ في مجملها تعبر عن الحزن والاستعطاف الكبير، وهي تصوير للمعاناة .

---

[1]– ليفي بروفنصال ،مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، رقم الرسالة21، ص 120.

[2] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمان القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وآثاره ، ص 46.

[3]– المرجع نفسه ، ص 47.

[4] – ليفي بروفنصال، رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، رقم الرسالة21، ص119.

[5] – المصدر نفسه، ص122.

[6] – المصدر نفسه ، ص122.

يمكن القول إن هذه الألفاظ التي تمثل الوضع الذي كان سائد في بلاد المغرب في عهد الدولة الموحدية، والتي صورته لنا رسائل القالمي، فقد بينت لنا شخصية، وثقافته الواسعة والكبيرة، زيادة على ذلك فإنها اصطبغت بصبغة دينية، إذ وجدنا أنها ألفاظ متداولة بين الأدباء في قضايا الأدب، فبعضها تعبر عن الدعوة والعقيدة، وأخرى عن النصح والإرشاد وأخرى عن الفرح والبشرى، والتهنئة بالفتح العظيم فهي تتنوع بحسب أحوال الأفراد والغاية منها هي الإفهام، وتوضيح الغرض المقصود.

ب – التراكيب .

تعددت الروافـــد في الرسائل التي استخدامها أبو القاسم القالمي، والتي اقتضتها موضوعات رسائله، فتعددت بين الروافد الدينية، والروافد الأدبية، وهذا التنوع دليل واضح على ثقافته الواسعة بكل العلوم والفنون الآداب، أنه يمتلك قاعدة عريضة تزخر بشتى ألوان المعرفة، تتمثل أساسا في :

ب–1 الروافد الدينية: تتمثل في القرآن الكريم، والسنة الشريفة، حيث تجلت ثقافته تلك بوضوح في رسائله، إذ استخدم ذلك التراث في نسيج بنائله النثري، وعد عنصرا مهما من عناصر مقوماته رسائله الديوانية، لأن غرض الموضوع والهدف من تلك المكاتبات يقتضيان حضور مثل هذه المعارف، وقد أحسن القالمي في استخدامها وتوظيفها، فجاءت قوية في الفكرة، ورصينة في الصياغة، وجيدة في التعبير، عما يراد التعبير عنه، وهنا تظهر الحنكة والذكاء في الاستعانة بالتراث وتسخيره، وفي رسائل أبي القاسم القالمي نجد أنه استشهد بالقرآن الكريم، وذلك لما تستوجبه طبيعة موضوع الرسالة مثلما يقول مقتبسا من القرآن

<< فعجل من دون ذلك فتحا قريبا>>[1]استحضر هذه الآية ليبين أن الله تعالى وعد المجاهدين والقائمين بدعوتهن والناصرين لملته فتحا قريبا، وذلك من أجل إبراز عاطفة

[1] – سورة الفتح ، الآية 27.

المخاطب وتحريك مشاعره، وإقناعه بها، وجاء أيضا في الرسالة قوله << من شهد اليوم الذي أخذ فيه الإسلام بمليم الدار وعرف الكافر لمن عقبي الدار>>[1] فهو اقتباس من قوله تعالى << وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبي الدار>>[2]، استحضر هذه الآية ليذكر الكفار أن لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة قريب.

كما اقتبس من القرآن الكريم في قوله << يا مؤمن هذا الكفر خلفي فاقتله، وإلى سواء الجحيم فاعتله >>[3] مشيرا إلى قوله تعالى << خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم>>[4] يقول مخبرا عما يعذب به الكافرين الجاحدين فاعتلوه؛ أي سوقوه وادفعوه إلى وسط الجحيم ، وقد استشهد بالقرآن الكريم لكي يعزز فكرته ويقوي رأيه.

ويذكر أيضا قوله << أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله التي خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا>>[5]

وهو اقتباس من قوله تعالى << سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا>>[6]، ويقصد به سنة الله في خلقه، ما تقابل الكفر، والإيمان موطن إلا ونصر الله الإيمان على الكفر، فرفع الحق ووضع الباطل كما فعل الله يوم معركة بدر بأوليائه المؤمنين نصرهم على أعدائه من المشركين، رغم قلة عدد المسلمين وكثرة المشركين.

إن هذه الإستشهادات تؤكد مدى تمسك المغاربة بالدين الإسلامي، وقد يأخذ القالمي جزءا من النص القرآني، أو يأخذ معناها فيضمنه في مكاتباته ليسند فكرته، أو يقوي رأيه

---

[1]– بن رمضان شاوش وآخرون ، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر ، ط 1، حي الكيفان ،تلمسان ، 1422هـ 2001م ص131.

[2] – سورة الرعد، الآية 42.

[3] – بن رمضان شاوش وآخرون ، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر ، ص 132.

[4] – سورة الدخان، الآية 47.

[5] – بن رمضان شاوش وآخرون ، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر ، ص 132.

[6] – سورة الفتح ، الآية 23.

أو يعزز نسيجا، أو يرصن لغته، فمن أمثلة ذلك قوله << فكل ما أغنى عنه جمعه ولاحماه معتصمه ومنعه، وأن في إبادة من أبيد، وقياد من اقتيد لسرا من أمر الله في تسخير هذا الوجود لأمره، وإشعار بإظهاره على الدين كله >>[1] فقد استخدم الكاتب روح الآية الكريمة وحافظ على معناها لأن نص الآية تقول << هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.>>[2]، وقوله أيضا << هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركين>>[3] ؛أي أن الرسول أرسل بالعلم النافع، والعمل الصالح ليظهره على أهل جميع الأديان من سائر الأرض من عرب وعجم.

وقد جاء في رسالة أخرى << وتنبيها على الارتقاء في الأسباب و ذكرى لأولي الألباب>>[4] و يقصد بها العقول الصحيحة والسليمة.

كما استخدم نصوصا أخرى من الحديث الشريف الذي يعد ثاني مصادر الشريعة الإسلامية التي يقتبس منها، باعتباره المفسر الأول للقرآن الكريم، ومن اقتباساته من روح الحديث، وألفاظه ما جاء في رسالة له << وسلالة الانتحاب من لوي بن غالب المبعث لتتميم مكارم الأخلاق >>[5]، فهو واضح أنه استفاد من الحديث الشريف الذي يقول نصه << إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق>>؛ أي أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعث رسولا للناس أجمعين من أجل تبليغ رسالته.

لقد استشهد القالمي في رسائله الثلاثة بالقرآن الكريم بكثرة لإقناع أهله ، ونشر دين الحق، ولبيان أساليبه وتقوية كلامه من أفكار عميقة ، وهذا ما سعى إليه القالمي من خلال اقتباسه من القرآن الكريم على غرار الحديث الشريف الذي غاب في نصوصه ماعدا

---

[1] – بن رمضان شاوش وآخرون ، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر ،ص 134.

[2] – سورة الفتح ، الآية 2

[3] – سورة الصف ، الآية 9.

3– أحمد عزاوي ، رسائل موحدية مجموعة جديدة ،ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1416هـ، 1995م ج2، ص 136.

[5] – ليفي بروفنصال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، رقم الرسالة21، ص114.

شذرات ، وهو بهذا اقتبس من المنابع الأولى للأدب الإسلامي إذ ربط الكلام به فكان تزكية للمعنى.

ب-2 **الروافد التاريخية:** لقد كثرت الروافد التاريخية في أدب المغرب العربي، لأن التاريخ هو التراث الذي يعبر عن جمالية الفنون والآداب الذي تهواه النفوس، والغاية منه التذكير بقصص الأولين، وأخبار الأمم الغابرة، والأقوام البائدة لتكون عبرة لمن يعتبر فيحضر الرافد التاريخي في رسائل القالمي، حيث حرص الكاتب على ذكر بعض الشخصيات، كما جاء في رسالة إلى الطلبة الغزاة بافريقية << من أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أيده الله بنصره، وأمده بمعونته إلى الطلبة الغزاة بافريقية أدام الله عزهم وكرامتهم، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد فإنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله، ونسأله الرضى عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم ... ونوالي الدعاء لصاحبه وخليفته الإمام أمير المؤمنين ممشي أمره.>>[1]، إن ألفاظ (أمير المؤمنين، ابن أمير المؤمنين، محمد، النبي الرسول، الإمام، المعصوم، المهدي) ألقاب ورموز ممثلة في السلطة والخلافة، والمجد السياسي، وأيضا اسم النبي (صلى الله عليه وسلم)، واستخدام هذه السمة لما يعرفه من تأثير الإسلام على المسلمين و الاقتناع بأقواله.

كما ذكر في رسائله أقواما ارتكبت أعمالا سيئة عبر التاريخ فيقول << بلغنا أن رجالا من ذميمي النصارى ــ وقمهم الله ــ من أهل آبلة، وما أخذها، ومن أنضاف إليهم من الافريرين وغيرهم ــ كبت الله جميعهم ــ قاصدون قصد هذه الجهة ... وحصل العلم بأن أهل آبلة حمة النصارى وحماتهم>>[2]، وقوله أيضا << والتورك على الإقبال في أدمت الفرس وأمهد الأرائك ... لم يتصور في أوهامهم من متعاقدي الظلم والكفر، ووطأة بني

[1] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمان القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وآثاره ، ص، ص 45، 46.

[2] – المرجع نفسه، ص 35.

السمر[1] والصفر[2]>>[3]، ومثله << وتوطأ لهم من طرف الظفر الروم، وتدلل لهم من مركب الروم ... ولا محل مراقبة ، ولما خامر الروم>>[4]

وتظهر هذه الأقوام في (الروم، النصارى، الفرس، بني السمر و الصفر)، أما بالنسبة الروافد الأدبية فإننا لم نعثر عليها في رسائله، وذلك راجع إلى كونها توجد في الرسائل الأدبية على وجه الخصوص دون الرسائل الديوانية ، والخطب والمناظرات.

وخلاصة القول فقد تنوعت الروافد المعرفية في رسائل أبي القاسم القالمي كالقرآن والحديث، والتاريخ، استطاعت أن تمنح نصوصه إبداعا أدبيا من حيث التعابير والتراكيب لأنها موجهة إلى عامة الناس، فكان لهذه الظاهرة تأثيرا واضحا على الجمهور وبالأخص القرآن الكريم الذي ترك انطباعا مهما في نفوسهم ، فاستعماله لمثل هذه التوظيفات عكست معالم شخصيته الأدبية والاجتماعية.

[1] – العرب.

[2] – الروم.

[3] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمان القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وآثاره، ص 30.

[4] – المرجع نفسه ، ص 37.

2- البناء البلاغي.

أ- علم البيان

من الأمور الهامة في دراسة النصوص الأدبية معرفة ما تحتويه هذه النصوص من محسنات بديعية، ودراسة أثرها ودلالتها، ويمكن القول أن هذه المحسنات كالسجع والجناس والطباق والمقابلة وغيرها تزيد من جمالية النصوص الأدبية، وخاصة إذا استعملت من دون تكلف، والبديع هو << الجديد وأصله في الحبال، وذلك أن يفتل جديدا ليس من قوى حبل نقصت ثم فتلت فتلا آخر>>[1]، فمن الكتاب من عده من ألوان الطلاء بما يكسبان الكلام حسنا عرضيا .

إن المحسنات البديعية لا غنى عنها في الكتابة الأدبية لذلك وجدناها حاضرة بقوة في رسائل أبي القاسم القالمي.

أ-**1 السجع:** عرف السجع منذ العصر الجاهلي ، وكان يعرف بسجع الكهان ، وعملوا به واستخدموه في حياتهم، ولما جاء الإسلام أنكر العمل به لماله من تأثير سلبي على عقول الناس ونفوسهم، إذ يعني << توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهذا هو معنى قول السكاكي (السجع في النثر كالقافية والوزن في الشعر) >>[2]

والأصل في السجع يكون في اعتدال مقاطع الكلام التي تميل إليه النفس ، والسجع يعني أن << تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حادة لا غثة ولا باردة، والمراد بغثاته الألفاظ وبرودتها أن صاحبها يصرف النظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة وتراكيبها، وما يشترط لكليهما من صفة الحسن>>[3]

---

[1]- ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ،تح محمد محي الدين عبد الحميد ، ط3، مطبعة السعادة،1963م، ص160.

[2]- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية علم البديع ، دط ،دار النهضة العربية ،بيروت لبنان ، د ت ، ص 116.

[3]- المرجع نفسه ،ص 116.

ويعد السجع من أكثر المحسنات اللفظية دورانا على ألسنة البلاغين والمبدعين، كما يعد في ذات الوقت << اتفاق الفاصلتين أو الفواصل في الحرف الأخير أو أكثر من حرف و قد يكون هذا الاتفاق في الحروف، أو في الأوزان، أوفيها معا، ويقع في الشعر كما يقع في النثر لكنه في النثر أكثر منه في الشعر، ومن الإنصاف القول: إن النثر أولى به من الشعر.>>[1]

وعليه فإن السجع يعمل على تزين الكلام العادي فيجعل منه كلاما جيدا ، ولقد اهتم به الأدباء المغاربة كثيرا، وعملوا على تزين رسائلهم ببعض أنواع السجع الذي يأتي عفويا في الغالب من غير تكلف وتصنع، إذ بدى في بداياته بسيطا عاديا ثم تطور بتطور الثقافة واحتكاكهم بأدباء الأندلس، فاختلفت أساليب الأدباء حسب تفكير كل واحد منهم، وتفاوتت في استعمال السجع، وتزيين الكلام، وهذا الاختلاف كان نتيجة اختلاف تكوينهم الثقافي وهذا ما اختص به أدباء الموحدين، حين وجدوا في السجع وسيلة للتعبير عن معاناتهم الصادقة، وعن دعوتهم الحقيقية، ورفضهم للدولة المرابطية، كل هذه الظروف جعلتهم يلجئون إلى استخدام السجع في إبداعاتهم.

إن المتلقي لرسائل القالمي يلحظ أنها تعج بالاستخدام المفرط للسجع، ويظهر ذلك جليا في الرسالة التي يعلم فيها بهزيمة عرب إفريقية، حيث لا نكاد نقرأ في التحميد حتى نلاحظ طول السجعة البائية التي بناها عليها، وذلك في قوله<< فالحمد لله الذي تمم مقاصد أوليائه فيما اعتمدوه من إقامة أمره الواجب، وأناف بأغراضهم المقصورة على مرضاته على مطامح المطالب، ومدارك الرغائب>>[2]

[1] – أحمد محمود المصري، رؤى في البلاغة العربية دراسة تطبيقية لمباحث علم البديع، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 2008م، ص 174.

[2] – ليفي بروفنصال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، رقم الرسالة21، ص 113.

وهذا الطول في السجعات قصد إليه لكي يضمن في كل سجعة في داخلها سجعتين أو أكثر.

كما نجد أنه استعمل السجع في قوله << وبلغهم في أعدائهم الذين ولوا أمر الله ، وقد استقبلهم جانب الإعراض والأدبار، وبدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار أماني الظافر الغالب>>[1]، فالسجعة بائية (جانب، غالب)، وفي داخلها سجعتان رائيتان (الأدبار الإعراض)، وذلك حتى تتشابك الكلمات في داخلها وتتداخل، فيحدث بذلك تناسق وانسجام صوتي بديع، وتضيف للنص روعة فنية، ثم تليها السجعة << وكل بهم أية ولجوا وعلى أي مدرج درجوا من النصر المحالف المصاحب، ما يكون لعامة أكنافهم وجنبات أوساطهم وأطرافهم عين المحافظ المراقب>>[2]، ففي داخل السجعة البائية (المراقب، المصاحب) نجد سجعة جيمية في أولها(ولجوا، مدرج، درجوا)، ثم سجعة ميمية (أكنافهم، أوساطهم)، وكأن الكلمات تريد أن تتعانق داخل السجعة عن طريق هذه النغمات المتلاحقة، ويكثر تلاحم الألفاظ لدقة اختيارها.

وعندما نتتبع رسائله الثلاث وما تتضمنه، أو ما اعتمدته من صيغ وأساليب لتحسين الشكل، أو تزينه، فإننا نسجل أن رسائله تتراوح في سجعها بين السجعتين والثلاثة، أو أكثر إذ يقول في إحدى سجعاته الثنائية والثلاثية << أن جنود الله الموحدين قد تفرقت ذاهبة وسرحت قافلة>>[3]، وقوله << فاستمروا مصممين وتهوروا مقدمين، وما زالوا يتقدمون إلى حتفهم، وتتضرب أسداد الغي من بين أيديهم ومن خلفهم، مغالطين بالجرأة متخمطين بالبسالة خارقين لحجاب المهابة، ناكبين عن صمت الإصابة>>[4]، وأيضا قوله

---

[1] -- ليفي بروفنصال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، رقم الرسالة21، ص 113.

[2] – بن رمضان شاوش وآخرون ، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر ،ص 130.

[3] – ليفي بروفنصال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية رقم الرسالة 22، ص 123.

[4] – المصدر نفسه، ص 123.

<< فطمعوا في الدفاع، وارتفعوا في اليفاع، وحملوا حملات قاصرة ، وكروا كرات خاسرة >>[1] وغيرها من الأمثلة، وهي كثيرة في رسائله الثلاثة.

ومن سجعاته الطويلة قوله << وما شمل من الأمنة والهدون [2]، واسترسل عليهم من الدعة والسكون، وما غمرهم من فور الخيرات، وظهور البركات، وإرسال الرحمة التي آدنت بالإقبال والخصب، وبانصرام المحل والجدب، وانشغالهم بمصالحهم، وإقبالهم على مراشدهم وبما يعود بصلاح عاجلهم وآجلهم، فولوا حمد الله تعالى على ما والى من رحمته، وأولى من نعمته، وأفاض من منته، واشكروه شكر من يرغب في مزيده ويحرص على دوام صنعه الجميل وتجديده>>[3]

نلمس في هذه الرسالة سجعا خفيف النبرات، سريع الحركات تصور لنا إمكانية الكاتب الهائلة في اختيار أحسن الألفاظ وأقربها إلى الناس، وكيف تمكن من إنشائها بأسلوب جيد ليصل إلى هدفه دون تكلف، ثم إننا وجدنا في هذه العبارات المزدوجة، والتي تتفاوت في الوزن والتعريف والتنكير.

وهذه الألفاظ على العموم كلها متناغمة فيما بينها، متجاورة في إيقاعها الموسيقي، إذ عدد القالمي في حرف رويه الذي تنوع بين حرف التاء والنون، والباء والميم، والهاء وهذا التنوع الحرفي زاد الرسالة جرسا موسيقيا عذبا جميلا، كما نجد أيضا من سجعاته الطويلة في إحدى رسائله<< وجوهه وأصنافه لديكم، وقراءتكم .... إلى آخر ما قررتموه من ذلك وبينتموه، وأوضحتموه منه، وشرحتموه، والحمد لله الواجب، ما أتى من نجح وآتى من يسر ومنح من فتح، وأسدى من فضل ... أسباغ نعمه إكمال فواضله، وإجراء

[1] -- ليفي بروفنصال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية رقم الرسالة 22، ص 124.

[2] – السكون.

[3] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمان القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وآثاره ، ص 47.

أولياء أمره على ما عودهم من الأنجاد، وعرفهم من التوفيق و الإسعاد، فيما يظهر دينه ويعلي كلمته، وينصر حزبه ، ويؤيد أمره>>[1]

نلاحظ أن القالمي يفرع في سجعاته فيأتي مثلا بمجموعة من الجمل المسجوعة، ثم ينتقل إلى سجعة أخرى، وهكذا فإننا نجده يلون ويغير في السجعات، وبالتالي التغير في وقع الأصوات ليخلق منها موسيقى قريبة تشد السامع، وتنشط القارئ أو المتلقي، وهذا التنويع والتفريع في السجعات يضفي جمالية تشكيلية صوتية على الرسائل.

ومن أنواع السجع أن تكون الفاصلة مؤلفة من حرفين ، أو أكثر كقول أبو هلال العسكري << أن يكون الجزءان متوازيين متعادلين، لا يزيد أحدهما على الآخر مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه>>[2]، وقد وجدت هذه الظاهرة في إحدى رسائله نحو<< وهذا الذي ذكرتموه حسن من فعلكم، وسداد من قصدكم ستعرفون بركته وتجتنون ثمرته وتحمدون مغبته، ومن استند إلى أمر الله تعالى واستضاء بنوره، واستقام على طريقته واهتدى في إيراده، وإصداره بهديه ، فتجارته رابحة، ومساعيه ناجحة...>>[3]

لجأ القالمي إلى توظيف سجع قصير الفقرات متنوع في الفواصل، وأسجاعه تتألف من الحروف التالية(الميم، النون، الهاء، التاء) ليدل على براعة القالمي الكتابية التي تحرك في المشاعر، وتترك أثرا كبيرا في نفوس السامعين.

وهذا اللون البلاغي في رسائله الديوانية كان رغبة منه في إضفاء جمالية عليها وإظهار مقدرته اللغوية، وتفننه الأدبي بما أنه من كتاب الدولة الموحدية، فقد غلبت عليه الصنعة البديعية، والتزام السجع فيها، والذي يعد ضربا من ضروب الصناعة البديعية بيد أن الإفراط في استعماله قد يفقد النص حلاوته الأدبية، وينقص من إيصال المعنى

---

[1]– إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمان القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وآثاره ، ص 46.

[2]– أبو هلال العسكري ، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق محمد البيحاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1406هـ،1986م، ص 262.

[3] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمان القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وآثاره ، ص 47.

المقصود إلى المتلقي، وهذا ما لاحظناه على أدباء الدولة الموحدية في إفراطهم لاستعمال السجع في نصوصهم النثرية، حتى لا نكاد نعثر على نصا من النصوص يخلو من هذه الظاهرة الفنية وهذا ما لمسناه عند القالمي، فاكتسبت رسائله صيغة زخرفية.

أ-2 **الجناس** : الجناس محسن بديعي معنوي، وهو لا يقل أهمية عن المحسنات البديعية الأخرى، واستخدامه يظهر مقدرة الكاتب على التلاعب بالألفاظ، وهو يعني أن << يورد المتكلم تجانس كل واحدة منها صاحبتها في تأليف حروفها على حسب ما ألف الأصمعي كتاب الأجناس، فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظا واشتقاق معنى>>[1] ويقصد به اتفاق لفظتين كتابة ونطقا، وهو على نوعان تام وناقص، أو يعني << اتفاق في الإيقاع والاختلاف في المدلول، وبهذا تكرار إيقاعي في موضعين مختلفين من النص مما يولد انتظاما، وتجانسا كبيرين ، كما يسهم في تشكيل المعنى، إضافة إلى تزيين النص من الناحية الموسيقية>>[2]

والجناس حسنا إذ لم يكن متكلفا بعدم الإكثار من استخدامه ، فيحدث انسجاما لفظيا بين النص وصاحبه.

ومن اهتماماته الشكلية التي تولي الصوت والجرس أهمية خاصة، وما نلمسه في مقدار الجهد الذي يبدله الكاتب من أجل إعطاء إنشائه رونقا خاصا، وطعما متميزا مرتكزا على قدراته في الصنعة البلاغية، ومن أمثلة ذلك ما ورد في قوله << الموجبة لكم رضاه عاجلا وآجلا، المستدرة عهاد كرمه وابلا فوابلا... ونهجه الحاملة لكم على كاهل السداد وثبجه>> [3] وأيضا << والتقطوا في بقية تلكم الآناء ، وقتلوا قتل العناء، حتى صمت حصاة بدم ...محط قدم >>[4].

---

[1] – أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 321.

[2] – نعيمة العقريب ، قصيدة حيزية دراسة تحليلية ، دط، دار الفيروز للإنتاج الثقافي،2009م، ص 278.

[3] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمان القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وآثاره ، ص 46.

[4] – ليفي بروفنصال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، رقم الرسالة 22، ص 125.

وأيضا << سامعا مجيبا ، سامي في مقام النصرة>>[1] وقوله << المح بعد السنان والجسد بعد الجنان >>[2] ، وأيضا<< كثرت فيه العوائد ، واستمرت منه في الحال والمال الفوائد>> [3]

فقد جانس بين (العوائد / الفوائد)، (الحال / المال) ، (السنان / الجنان)، (سامعا /ساميا)، (عاجلا/ آجلا) ، (نهجه / ثبجه)، ونوعه جناس ناقص ، والغرض منه إثارة النغم الموسيقي في القطعة الأدبية، إذ من دونه تسكت حركة النصوص الإيقاعية وصورته الموسيقية.

كما نجد أنه استعمل كلمات متجانسة في رسائله في قوله << بأن أهل آبلة حمة النصارى وحماتهم، ورؤساؤهم وكماتهم >>[4] وأيضا << على وجههم الميمون ، ونصرهم المضمون >> [5]

إن هذه الألفاظ متقاربة من حيث إيقاعها الموسيقي وشكلها، ومخارج حروفها، ولكنها تختلف في حرف واحد أو حرفين مما جعل وجود خلل في الجناس فأصبحت تنتمي إلى الجناس الناقص .

وفـــــــي رسائله وجدنا أنه يكرر الألفاظ بحروفها وصوتها، أو يشتق من الأفعال مفعولاتها المطلقة، أوغير ذلك من ألوان الجناس التي يحس أنها تضفي على الإيقاع أصواتا متناغمـــــــــــة، وتختلف روحا موسيقية عذبة في عباراته، فمن ذلك ما نقرأه في إحدى رسائله من تكرار<< ... وظلال السكون من جانب إلى جانب.>> [6] ومثله

---

[1]-- ليفي بروفنصال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، رقم الرسالة 22، ص 121.

[2] – المصدر نفسه، ص 122.

[3] – المصدر نفسه، ص122.

[4] – المصدر نفسه، ص122.

[5] – المصدر نفسه، ص122.

[6]– المصدر نفسه، ص 113.

<< ألحقوا بقبيل العدم وقلعوا قلع الصمغة، وعصبوا عصب السلم >>[1] ومثله << أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة التي خلت من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلا>>[2] وأيضا

<< فقد قلد مناط مقلده>>[3] ومثله << وحملوا حملات قاصرة وكروا كرات خاسرة >> [4] فقد استخدم القالمي الجناس كثيرا في رسائله لكن معظمه جناس ناقص، ولهذا زاد من توضيح المعنى والإقناع والتوضيح، كما يسهم في إظهار الجرس الصوتي، والتناغم الموسيقي، إضافة إلى أن الجناس له دور في ربط الكلام بعضه ببعض، فقدرته على استخدام هذا المحسن البديعي في هذا النوع من الرسائل، دليل بين على تلك الموهبة التي يتمتع بها ككاتب في الدولة الموحدية.

أ-**3 الطباق** : يعد الطباق من الفنون الأدبية التي نالت عناية البلاغيين ، واستعمله الأدباء والشعراء في أعمالهم الأدبية، ويعني في الاصطلاح << الجمع بين لفظيين متضادين في الكلام يتنافى وجود معناهما معا في شيء واحد>>[5]، والطباق نوعان : وطباق الإيجاب طباق السلب، فالأول أن تجمع بين المعنى وضده، والثاني استعمال المعنى نفسه مرة بالإثبات وأخرى بالنفي، ويعرفه أبو هلال العسكري << بأنه الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة>>[6]

لقد وظف القالمي الطباق إلى جانب السجع، والجناس ليستعين به على تحقيق مراميه في تجميل أسلوبه، ولكن بشكل قليل مقارنة مع استعماله للسجع ومن أمثلة ذلك قوله

---

[1] – ليفي بروفنصال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، رقم الرسالة 21، ص 113.

[2] – المصدر نفسه ، ص 116.

[3] – المصدر نفسه ، ص116.

[4] – المصدر نفسه ، ص124.

[5] – أحمد محمود المصري، رؤى في البلاغة العربية دراسة تطبيقية لمباحث علم البديع، ص 19.

[6] – أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 354.

<< وبدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار>>[1] وقوله << وقد التفت حجب الغياهب وتفرقت سبل المذاهب ...لا منفذ لجآء، ولا مخلص لذاهب>>[2]، ومثله << وأذن بشمس الهداية فجره، وأتيح له بعد عسره ويسره>> [3]، وأيضا قوله << وما أطرد بين حاشيتي بداياته ونهاياته>> [4]

فالطباق بارز بين (بدلو≠ أحلو)، (التفت≠ تفرقت)، (لجآء ≠ لذاهب)، (عسره≠ يسره)، (بداياته≠ نهاياته)، و الملاحظ على هذه المطابقات هو اتفاقها في عدد الحروف

و الأوزان و كلها ايجابية لامتيازها بالسهولة، و من صور الطباق أيضا قوله << واتر أهل الإيمان، وأشد الكفرة >>[5]، و مثله<< ترديهم المهاوي، وينم عليهم الليل و هو كاتم

و يكلم الصبح وهو باسم >>[6]، وقوله << و صلى الله على نبيه المصطفى محمد الهادي إلى سبيل السلام ترغيبا و ترهيبا>>[7]

فالطباق واضح (الإيمان ≠ الكفرة) ، (الليل ≠ الصبح) ، (ترغيبا ≠ ترهيبا) و هذه المطابقات التي استعملها القالمي في رسائله لنفوره من اللجوء إلى الكلمة و ضدها في رسائله كله طباق الإيجاب، ويعود السبب في ذلك كونه يتميز بالسهولة اللفظية، وعدم غموضه، لما يحتويه من التزيين و التنميق النصي .

أ-4 التورية : إن التورية فن من الفنون البديعية التي عرفت ، و اشتهرت بأكثر من اسم أشهرها: التورية، الإيهام، التوجيه، التخيير... وغيرها من الأسماء، والتورية في

[1] – ليفي بروفنصال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، رقم الرسالة 21، ص 113.
[2] – المصدر نفسه، ص 114.
[3] – المصدرنفسه، ص 115.
[4] – المصدر نفسه، ص 115.
[5] – المصدر نفسه ، ص125.
[6] – المصدر نفسه ، ص125.
[7] – المصدر نفسه ، ص121.

الاصطلاح << أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان ظاهر غير مراد ، وبعيد خفي هو المراد>>[1]

و المقصود بالقريب ما قرب من الفهم لكثرة استخدام اللفظ فيه، و المراد بالبعيد ما كان بعيدا عن الفهم لقلة استعمال اللفظ فيه، ولم يأخذ هذا النوع من المحسنات في رسائل القالمي إلا القليل، لأنه لم يخف ما أراد التعبير عنه في رسائله، و إنما يواجه من كان يرسل إليهم دون اللجوء إلى استعمال مثل هذه الطريقة، وهذا النوع كثر عند أبي جعفر ابن عطية في رسائله الاستعطافية، ومن أمثلة التورية التي جاءت في إحدى رسائله قوله<< وكان في هذا القبيل الرياحي فخد منهم يعرف ببني محمد لاحظتهم السعادة>>[2] .

وتظهر في الألفاظ التالية (الفخذ) لفظ لها معنيان أحدهما (فخد الرجل) و هو المعنى القريب إلى الذهن و عقل المتلقي و المعنى البعيد هو لجزء من القبلة و هو الذي قصده الكاتب .

و أيضا قوله << و ظهر هذه الأرجاء من متعاقدي الظلم و الكفر ووطأة بني السمر

و الصفر >>[3]، و تظهر التورية في (السمر و الصفر) معناها الأول اللون السمر و هو لون البشرة، وهو المعنى القريب،و أما المعنى البعيد قصد (السمر هم العرب) و الصفر وهو اللون الأصفر وهو المعنى القريب، والمعنى البعيد، و هم الروم و هو ما قصده الكاتب.

[1] – عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية علم البديع ،ص 122.

[2] – ليفي بروفنصال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية رقم الرسالة 21، ص118.

[3] – المصدر نفسه، ص 177.

و أيضا قوله << و نسأله الرضا عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم >>[1]، و تبرز التورية في (المهدي) فهذا اللفظ له معنيان أحدهما المهدي المنتظر، و هو المعنى القريب و المعنى البعيد " ابن تومرت".

و تجدر الإشارة إلى أن أبي القاسم القالمي لم يلجأ إلى استعمال هذا المحسن البديعي بشكل كبير إلا شذرات عابرة، و ذلك راجع إلى أنه كشف عما يطمح إليه، و أفصح عنه و أقنع غيرهم به، وعدم اللجوء إلى الطرق الملتوية و الغريبة .

أ-5 المقابلة: وهي نوع من المحسنات البديعية، و يراد بها كما عرفها أبو هلال العسكري << إيراد الكلام ثم مقابلتهم بمثله في المعنى و اللفظ على وجه الموافقة أو المخالفة، نحو قوله تعالى " و مكرو ا مكرا و مكرنا مكرا" [2] فالمكر من الله تعالى جعله الله عزوجل مقابلة لمكرهم بأنبيائه و أهل طاعته>> [3]، كما عرفها ابن رشيق القيرواني بأنها << ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطي أول الكلام ما يليق به أولا وآخره، ويؤتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه ، وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة>>[4]

ومن هذه التعاريف يتضح بأن المقابلة هي أن تأتي بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما على الترتيب.

إن حضور المقابلة في رسائل القالمي قليلة، ومما ورد منها قوله << وخبط من ليل الحيرة في حيث لا منفذ لجآء ، ولا مخلص لذاهب>>[5]، ومثله << وترديهم المهاوي ويم عليهم الليل وهو كاتم، ويلكم الصبح وهو باسم >>[6] وجاءت هذه المقابلة لتأكيد المعنى في

---

[1] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمان القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وآثاره ، ص45 .

[2] – سورة النمل ، الآية 50.

[3] – أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 337.

[4] – ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص 352.

[5] – ليفي بروفنصال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية رقم الرسالة 21، ص 114.

[6] – المصدر نفسه، ص 114.

الرسالة، وتوضيح المقصود، وقد وضحت المعنى، وأعطت التعبير عذوبة ، وحلاوة وجمالا فنيا وأدبيا، وقد قلت صور المقابلة في نصوصه إذا ما قورنت بالسجع والجناس.

لقد نوع القالمي في استخدامه للمحسنات البديعية، وذلك راجع إلى تنوع ثقافته الواسعة وبما أن رسائله كانت ديوانية، فإن الأمراء في تلك الحقبة كانوا بحاجة إلى نصوص تكون وسيلة لإقناع الناس، وبث روح الجهاد في نفوسهم، واستمالة عقولهم للدخول في دعوة التوحيد إذ تفنن القالمي، وأكثر من استخدام السجع الذي طغى على رسائله،وهو سجع قصير الفقرات، و بهذا يشكل النسيج الفني للعبارة، والموسيقى داخل الرسائل.

ب – علم المعاني .

هو أحد علوم البلاغة الثلاثة المشهورة " المعاني والبيان ،والبديع، وقد كانت البلاغة العربية في بادئ الأمر وحدة شاملة لمباحث العلوم، ثم أخذت شيئا فشيئا تنحوا منحى التخصص والاستقلال .

لقد تعددت الظواهر اللغوية في رسائل أبي القاسم القالمي، ولعل أهمها التكرار الترادف، الضمائر، دلالة الأفعال، أساليب الإنشاء والخبر، وسنتعرض إليها كل على حدة:

ب-1 التكرار: يعد التكرار ظاهرة طبيعية، ونوعا من أنواع الترابط العضوي ، فقد يكون تكرار كلمة، أو تكرار عبارة، والتكرار له أهداف ومرامي كثيرة، فقد يأتي بهدف المبالغة في التحذير والتغير، ومنه الحسن الجميل في النصوص الأدبية ومنه القبيح، ولا يكون قبيحا إلا إذا كان المعنى المقصود لا يتم إلا به.

فمن أمثلة ذلك تكرار كلمة (الفتح) في إحدى عشرة موضعا في الرسالة التي يخبر فيها بإرسال جيش الموحدين لصد الغزاة النصارى حين يقول<< فالحمد لله على هذا الفتح العظيم خطره الجليل قدره الذي له ما يعده .. وهذا الفتح ــ وفقكم الله وأعانكم ــ وإن

كان عظيما في نفسه عاليا في جنسه، فإنه للفتوح الآزفة مفتاح ، وبين يدي السعي فيها مصباح، وإنه رائد للفتوح المنتظرة، وعنوان الخيرات، ونازل منه الفتوح الآتية ... من ريح الفتح...>>[1]

ويمثل هذا التكرار نوعا من الترابط العضوي بين فقرات النص، ويمكن أن يكون سبب هذا التكرار هو النصر العظيم الذي حققه الجيش الموحدي في قتالهم مع النصارى ويظهر ذلك من خلال ما ساقه من أدلة على هذا النصر، فتكرراه لهذه الكلمة لم يكن عبثيا بل محاولة منه التأثير في النفوس واستمالة عقولهم، خاصة و أن التكرار يقدم دورا مهما في الإقناع .

كما نجد أنه كرر كلمة الله والنصر كثيرا في رسائله، حين يقول في إحداها << التي عادة الله تعالى إسعاد مطيها قصمه الله وأخذه على بركة الله الذي سبقت كلمته أن ينصر دينه ، ويبذل في مجاهدته إخلاصه ... ووصل من أعيان الموحدين أعانهم الله من شهد اليوم الذي أخذ فيه الإسلام بمليم النار، وعرف الكافر لمن عقبي الدار... على الله وطغيانهم.. وأعانهم الله وتراءى الإيمان والأتراك فرأى الكفرة بأس الله الذي لا يرد >>[2] نلاحظ هيمنة لفظ الجلالة على رسائله ، وبعض الألفاظ الدينية .

وهناك كلمات أخرى مكررة في رسائله في غير موقع منها (بشراكم، بحـــجاب احتثت ، آياته، فقصت، الإيمان، الكـــفر، السعادة ، الشكر، الديـــن ، النـــصارى، الروم) فتكرر بعضها خمس مرات ، ولم يتكرر بعضها الآخر سوى مرتين ، فتوظيفه لهذه الكلمات لم يكن من فراغ ، بل لها علاقة وثيقة بالنصر والفتح ، والقضاء على العدو فقصد بهذه الألفاظ على الموضوع الرئيسي للرسالة.

[1] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمان القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وآثاره ، ص 37.

[2] – المرجع نفسه، ص 35،36.

ويمكن القول أن ظاهرة التكرار أفادته كثيرا في توصيل ما قصد إليه في نصوصه، هذا من الناحية المعنوية ، وترابط العبارات والأفكار من ناحية أخرى.

ونلاحظ ما للتكرار من دلالة نفسية للمتلقي ، فيلجأ الكاتب إليه لغايات يطمح إليها وبهذا ينطلق الكاتب إلى تفكيك النص إلى جزئياته ، وإعادة الربط إلى التشكيل النهائي للعمل الأدبي في أحسن صورة.

ب-2 الترادف : من الظواهر التي تستحق الدراسة في الرسائل ظاهرة الترادف، والتي يعني << أن يريد المتكلم الدلالة على معنى، فيترك اللفظ الدال عيه، الخاص به، ويأتي بلفظ ردفه وتابع له ، فيجعله عبارة عن المعنى الذي أراده>> [1]، والترادف يكون بين الكلمات المختلفة لفظا، والمتشابهة في المعنى، ويلجأ إليه الكاتب ليظهر تلك القدرة في الكتابة والحرص على بيان قدرته اللغوية المملوءة بالكلمات و الأرداف.

وقد اهتدى القالمي إلى توظيف الترادف في رسائله كظاهرة ضرورية لفهم النصوص وذلك من خلال إيراده الألفاظ التي تتشابه في معناها ، كما جاء في رسالته "بإرسال جيش الموحدين لصد غزاة النصارى" منها(التقوى، الطاعة)،(الاستعانة، التوكل) (عالنة، ظاهرة)، (متغيبة، محتجبة)، (القطع، الاستئصال)، (وقعت، حصل) (تفرقت سرحت)، (الجرأة، البسالة) ، (النصر، الظفر)، (فوفوه، أعطوه).

أكثر القالمي من توظيف الترادف في هذه الرسالة نحو قوله<< فهذا الفتح العظيم قد عظمت به النعمى ، وكثرت فيه العوائد ، واستمرت منه في الحال والمال الفوائد، فوفوه حقه وأعطوه قسطه شكرا، ونشرا، وإشاعة و إذاعة يمتد مداها، ولا يبلغ أقصاها والله تعالى يشفعه بأمثاله ، ويردفه بمنهل الفتح ، ومثاله ويتولى توفيقكم لما يحب ويرضاه.>>[2]

[1] – أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 350.

[2] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمان القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وآثاره ، ص 37.

والهدف من استخدامه للترادف هو تبيان مقدرته اللغوية أمام الخليفة عبد المؤمن، وهي تعكس المعاني، والأفكار، وتقوي مقصده بإيراد اللفظ مرة أخرى بلفظ مختلف والترادف هنا ساهم في إشاعة وإذاعة الفتح العظيم بفضل توكلهم على الله تعالى.

وفي الرسالة إلى الطلبة الغزاة وظف الترادف نحو (أمده /أيده)، (تتميمه/ تكميله) (الاستعانة/التوكل)، (يهدي / يرشد) ، (البشائر / المسرات)، الفتوح الإلاهية/ التسيرات الربانـــية)، (انبســـاط / الابتـــهاج)،(الخيرات / البركـــات)، (مصالحهم / مراشـــدهم) (تسير/تسهيل)، (دأبكم / همكم/ طلبكم)، وغيرها من الترادفات إذ أسهب القالمي في توظيفه لها نحو قوله << من انبساط الآمال، وعموم الجدل والابتهاج إلى آخر ما قررتموه من ذلك وبينتموه، وأوضحتموه منه وشرحتموه ... وعرفتهم من التوفيق والإسعاد فيما يظهر دينه ويعلي كلمته>>[1]، أردف القالمي في رسالته هذه ، فكان عندما يتحدث عن لفظة تتعلق بالتوكل، أو الفتح والفرح، ويحاول أن يأتي بكلمات كثيرة على نفس اللفظة ، وفي محاولة منه أن يتوكل على الله ، ويستعين به، فإنه لا يضيع عباده وحاول أن يبين أن جلهم استجاب لدعوة التوحيد في الالتحاق بجيش الموحدين ، فوصلت إليهم البشائر والمسرات.

أما الرسالة التي يعلم فيها بهزيمة عرب إفريقية نجد فيها (بدلوا/أحلوا)، (أفناء/الظلال) (الجسيم/العظيم)،(الواضح، اللاحب)، (العاثر/العاطب)،(الخير/البركة)
(الشكر/الحمد)، (الظلم/الكفر)، (الدلائل/البراهين)، (بعهوده/مواثيقه)، تكمن أهمية الترادف في إظهار الكاتب لمقدرته اللغوية في الإتيان بمفردات تؤكد المفردات التي توافقها ، وتلقي بظلالها في التركيز على مدلولها ، فتجعلها ذات أهمية كبيرة للقارئ.

[1] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمان القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وآثاره ، ص 46.

يتبين لن جليا أن القالمي كان معتدلا في توظيفه لظاهرة الترادف في رسائله، وجاء استخدامه بالقدر الذي يخدم هدفه ، وإبراز مقدرته الأدبية في إخراج نصوصه في أجمل الصور من ناحية الصياغة والرصانة.

ب-3 الغريب: إن دراسة رسائل القالمي تقتضي الوقوف عند ظاهرة الألفاظ الغريبة التي وظفها في نصوصه، ولابد من الإشارة هنا إلى أن الغريب من الألفاظ لا تتناقض مع الفصاحة، فقد تأتي الألفاظ حوشية غريبة، ولكنها تؤدي المعنى المقصود على أكمل وجه ومن أمثلة ذلك، وخاصة في الرسالة التي يعلم فيها بهزيمة عرب إفريقية، فقد جاءت ألفاظه غريبة نحو(أناف، أفناء، احتقاب، فاؤوا، الثاقب، لبابة، الانتحاب،الصادع اللازب، اللاحب، الصمغة، الأنقاب ، النفر ، اللائك، الورك مدرار، الوكافة، متمطر نجعه، القض والقضيض ، آطامها ، الأغذاذ ، الفياح، المنداح...)لقد أكثر منها في نصه إذ بالغ في توظيف هذه الألفاظ الغربية ، وضمنها في رسالته، فكما قلنا على الرغم من غرابتها إلا أنها حققت الغرض المقصود لمناسبتها لموضوع الرسالة، فجاءت هذه الألفاظ لتزيد في المعنى عمقا وقوة.

أما في رسائله الأخرى فإننا لم نجد الألفاظ الغريبة إلا شذرات منها نحـــو(وقمهم اليفاع ، غيط، الآزفة، الهدون)، فجاءت رسائله الأخرى واضحة، استعمل الألفاظ المألوفة البعيدة عن التعقيد، والغرابة والابتذال والصعبة، وعمد على إيرادها واضحة المعالم سهلة لعدم تناسب هذا الأسلوب مع موضوعها الذي يفيض بالفرح، والسرور من جراء الفتح الجسيم مما جعله يميل إلى البساطة والسهولة، ويبتعد عن الغريب.

ويمكن القول إن القالمي كان يميل إلى الوضوح والتعقيد في الوقت نفسه، كما رأينا في رسائله الثلاث ، وهذه السمة والميزة التي يتحلى بها.

ب-4 الضمائر: تعد من العناصر الأساسية في فهم النصوص، اعتمد عليها القالمي في بناء نصوصه، والضمائر في رسائله الثلاث متشابهة، معظمها يدور في فلك واحد(المتكلم المخاطب ، الغائب).

حيث ابتدأ جميع رسائله بضمير الغائب نحو(أيده أمده ، بمعونته، نشكره ، آلائه نعمه نسأله، سبيله، خليفته، تتميمه، تكميله، بتقواه ، بحسناه بركاته)، فالقالمي يذكر صفات أمير المؤمنين، والحمد والشكر لنعم الله تعالى، ورسوله و والمهدي، فاستهل الرسالة بضمير الغائب.

كما استخدم ضمير المخاطب في متن الرسائل أمثال (حماتهم ، رؤساؤهم، كماتهم جمرتهم، حوزتهم ، فاتبعوهم ، أعانهم ، بناؤهم ، أنساهم ، إليكم ، انشغالهم، بمصالحهم) وغيرها فهي كثيرة، لأنه تارة يخاطب بها الأعداء وما أصابهم من العذاب، وتارة يخاطب الموحدون الذين استجابوا لدعوة التوحيد ، فعم السكون والهدوء في أرضهم.

كما وظف ضمير المتكلم بأنواعه المختلفة (مقامنا، بلغنا، بنا، استخرنا، كتبنا) فالضمائر باعتبارها من أساسيات النصوص، فقد لعبت دورا مهما في تحقيق أفكاره من خلال ذلك التوظيف الجيد لها، لأنها تعمق معرفة القارئ ، وهي ركيزة أساسية يقوم عليها فن الرسائل.

ب-5 الأفعـــال :إن دلالة الأفعال في رسائله لها صلة بالعصر الذي قيلت فيه ، حيث تراوحت بين الماضي والمضارع، ففي الرسالة إلى الطلبة الغزاة ركز على أمور حدثت في الزمن الماضي والمضارع مثل(يصبحكم ، يهدي، يرشد ، يسنى، يعين، ينجد ، يظهر يعلي ، ينصر، يؤيد، يرغب، تجتنون، تنقلهم، تحمدون)أراد استخدامه <<للوقت الحضر>> في أفعاله إذ ركز على الزمن الذي كتب فيه الرسالة، لأنه حاول أن يوصل فكرته أنه من يظهر دينه ويعلي كلمة الله فله الحمد الدائم ، والشكر المتصل.

كما وظف الأفعال الماضية في قوله<< على ما شرح لكم، وفصلت وجوهه وأصنافه لديكم ، وقراءتكم ما كتب به إليكم على كافة من قبلكم ، وبعث الكتب إلى سائر أنظاركم وما كان عند ذلك من انبساط الآمال...>>[1]، وغيرها من الأفعال الماضية ، وهدف من إيرادها أنه أراد تذكير الموحدين بالماضي، ليشكل دليلا واضحا على صدق أقواله وليكون مؤثرا ومقنعا لهم باللجوء إلى القرآن الكريم.

أما في الرسالة التي يعلم فيها بهزيمة عرب إفريقية، استعمل الأفعال الماضية لتذكير الأعداء بما حل بالأقوام البائدة الذين ولوا أمر الله ، وبدلوا نعمة الله كفرا مستشهدا بالقرآن الكريم، وكلها أقوال قديمة حدثت في وقت سابق منها(أناف، بدلوا، أحلوا، جعل، كتبناه بوأ قابل ، سكن، نبض أذهب شرح ، أذن ، أتيح ، اخلع، اشترى ، وصلت، أطلعت أنبأت طهر، هجر...) ، أما الأفعال المضارعة فأراد بها إعادة السلم إلى أرض الموحدين والتخلص من أعدائهم ،إذ تمنى لهم حاضرا خال من الحروب والفتن، فضمن كما هائلا من هذه الأفعال منها(يكون، يصل، تتعرض، تنحط، تهدي ، تقيم، يوزع، يسمع يرفع يخترق يعتقدوه، يتصور ، يكاد ، ينشأ ، يجري ، يتفرع).

وأورد كذلك أفعال أمر منها (فاشرحوا، أقيموا أشعروا ، أعقدوا ، بلغهم)، وأورد في ختام نصه تقديم مجموعة من النصائح المتمثلة في الدعوة إلى نشر البشائر، والفتح الكبير بعون الله تعالى ، وكذلك الرسالة الثالثة استخدم الأفعال الماضية والمضارعة.

نستنتج مما سبق أن القالمي نوع في أفعاله، وإن كانت أفعال الأمر قليلة جدا فتراوحت أفعاله بين الماضي والحاضر، وساهمت في الوقوف على هدف الكاتب لأن دلالتها واضحة في الرسائل.

[1] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمان القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وآثاره ، ص46.

ب-6 الخبر والإنشاء : تفاعل أدباء العهد الموحدي مع النصوص الأدبية ، حيث يمزجون المعاني بإيرادهم للجمل الخبرية التي يلجأ إليها الكاتب، وهذا ما وجدناه عند أبي القاسم القالمي ، بهدف تقرير الحقائق أو الإخبار عن الوقائع التي وقعت، إذ يعرفه البلاغيون بأنه<< كل قول أفدت به مستمعه ما لم يكن عنده ، كقوله قام زيد ، فقد أفدته العم بقيامه ومنه ما يأتي بعد السؤال فيسمى "جوابا" >>[1]

ومن استعمال القالمي لأسلوب الخبر ما جاء في رسالة إلى الطلبة الغزاة حين يقول << متضمنة امتداد ظل السلامة عليكم ، واتصال البشائر والمسرات لديكم ، ووصول المخاطبة إليكم، بالفتوح الإلاهية والتيسرات الربانية التي تسنت في الأندلس وغيرها من بلاد الموحدين حماها الله على ما شرح لكم ، وفصلت وجوهه وأصنافه لديكم قراءتكم ما كتب به إليكم على كافة من قبلكم، وبعث الكتب بها إلى سائر أنظاركم>>[2] ، وقوله أيضا في الرسالة التي يعلم بهزيمة عرب إفريقية << وجعل انتظار الفرج بالصبر عبادة ، وبوأ بقرارة اليقين لتنجر ما في ضمن الوعد من كل فتح مهاده ، وقابل نعمه التي تجلي قرة أعين صورتها وتثني ثبج أسماع سورتها من الشكر الأحفى والحمد الأوفى.>> [3]

وفي رسالة أخرى يقول << ولما اتصل بنا نبأهم الذميم ، وتوجه فيهم الصنع الكريم استخرنا الله تعالى على تمييز العساكر المنصورة ، وتسريبها إليهم مع إخواننا ، وأشياخ الموحدين>>[4]

إن هذه الجمل جاءت كلها لتقديم الحقائق التي ينبغي الكاتب من ورائها تعريف من يخاطبه بشيء أو بأشياء يجهلها ، إذ طغى هذا الأسلوب في رسائله ، وقد عبر انفعال

[1] – عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية "علم المعاني"، د ط، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، دت، ص 44.

[2] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمان القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وآثاره ، ص46

[3] – ليفي بروفنصال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية رقم الرسالة 21، ص 114.

[4] – المصدر نفسه، ص 124.

الكاتب مع فكرته القائمة من القضاء على الأعداء، والاحتفال بالنصر العظيم الذي حققه الموحدون بعد دخولهم في دعوة التوحيد.

لقد جاءت معظم رسائله من أجل تحذيرهم من الخطر الذي يتربص بهم ، والتصدي له ولهذا لم تخلوا رسائله من الإخبار ،كما امتلأت بالعاطفة القوية.

كما وجدنا أنه مزج بين الخبر والإنشاء،لكونه استعان بالقرآن الكريم لإقناع الناس رغم قلتها، والإنشاء كما عرفه البلاغيون << هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته وذلك لأنه ليس لمدلول لفظة قبل النطق به، وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه>>[1] ومن أغراضه (الأمر، النهي، التمني، الاستفهام، النداء) ، وما تقوم به من معنى في نفس المتكلم ، وقد كان الأمر الدال على النصح والإرشاد، والوعظ نصيب في نصوصه كما هو الحال في إحدى رسائله<< فاشرحوا أعزكم الله صدوركم ، وأقيموا بهذه البشائر أموركم وأشعروا بها جمهوركم، واعقدوا بإهدائها جدلكـــم وسروركـــم>>[2]، وأيضا << فذكر الواصلون أن الموحدون أعانهم الله اتبعوهم معدين، وأرهقوهم مشمرين>>[3]و قوله << واشكروه شكر من يرغب في مزيده ، ويحرص على دوام صنعه >>[4]، لم يكثر الكاتب من هذا الأسلوب في نصوصه ، وما دامت مكاتباته ديوانية تتعلق بشؤون السياسة والحكم، فلا بد أن نتوقع كون أسلوب المكاتبات يجنح إلى مثل هذه الصيغ ،واللغة الخطابية المباشرة،،إذ استعمل القالمي في أسلوبه الوعظ والإرشاد والنصح ، مستخدما فعل الطلب الأمر في تخاطبه مع الموحدين بأن يشكروا نعمة الله ، والهدف منه هو طلب القيام بهذه الأفعال.

---

[1] – عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية "علم المعاني"، ص 69.

[2] – ليفي بروفنصال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، رقم الرسالة 21، ص 120.

[3] – المصدر نفسه، ، ص 124.

[4] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمان القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وآثاره ، ص 47.

أما باقي الأساليب الإنشائية فإنها منعدمة في رسائله ، إذ أكثر من الأساليب التقريرية لأنها تعبر عن الحالة النفسية، والواقع الاجتماعي، وقدمت دورا فعالا في الإقرار بالحقائق وبالتأكيد لها.

ج- علم البيان.

لقي علم البيان اهتماما كبيرا من قبل الأدباء والشعراء، لأنه تعبير صادق عما يجول في أعماقهم، ونقل لصورة الحاضر لأن الصورة الأدبية هي عامل فني وإبداعي، ويتمثل في

(الاستعارة، الكناية، التشبيه).

ج-1 الاستعارة: هي ضرب من ضروب المجاز اللغوي، يعرفها أبو هلال العسكري بقوله << نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى، وفضل الإبانة عنه، وتأكيده والبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين الغرض الذي يبرز فيه>>[1]

لقد وظف القالمي في رسائله الاستعارة، ومن أمـــثلتها ما ورد في قوله << وتفرقت سبل المذاهب، وخبط من ليل الحيرة في حيث لا منفذ لجآء، ولا مخلص لذاهب>> [2] يشبه الكاتب الليل بالإنسان الذي تنتابه الحيرة عندما يتعرض لموقف ما، حيث حذف المشبه الإنسان، وترك قرينة تدل عليه، وهي الحيرة ونوعها استعارة مكنية.

ومن ذلك قوله أيضا << وينم عليهم الليل وهو كاتم ، ويلكم الصبح وهو باسم.>>[3] إذ يشبه الكاتب الصبح بالإنسان وهو يبتسم ، فحذف المشبه به ، وترك لازمة من لوازمه وهي الابتسامة ، ونوعها استعارة مكنية .

[1] – أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، 268.

[2] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمان القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وآثاره ، ص 27.

[3] – المرجع نفسه ، ص 36.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن القالمي لم يكثر من استعماله للاستعارة، وابتعد عن الصورة الجمالية والفنية، لأن غايته هو نقل مجموعة من الأفكار، والقيم السامية في رسائله.

ج-2 الكناية: تعد الكناية بابا من أبواب البيان المشهورة، عرفها أبو هلال العسكري يقوله << الكناية والتعريض أن يكنى عن الشيء، ويعرض به، ولا يصرح على حسب ما عملوا بالتورية عن الشيء >>[1]

وقد استعمل القالمي الكناية في نصوصه لكي يغطي المعنى الأصلي ، وهذه الدلالات مستوحاة من البيئة المغربية ، حيث عمد إلى عنصر التشويق ، ولقد وردت الكناية في قوله << وجمرتهم الملتهبة، وحوزتهم المتغلبة ، والشوكة التي لم يحصدها قصد حاصد>>[2] كناية عن القوة ، وقوله أيضا << الشجرة الملعونة التي لم يقصدها على مدى الدهر قاصد >>[3] كناية عن الوضاعة.

وورد أيضا << معهم أعلام الروم المنكسة فيه تماثيلهم ، وصلبانهم>> [4]، وهي كناية على الهزيمة العظيمة التي لحقت بالروم والكفار.

يضاف إلى ذلك قوله << وأتيح له بعد عسره ويسره، وانخلع من ملابس ذنبه واستند إلى ذروة قربه وكان على نور من ربه>>[5] كناية عن التوبة من المعاصي والدخول في دعوة التوحيد والإيمان بالله تعالى.

---

[1] – أبو هلال العسكري ، الصناعتين 368.

[2] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمان القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وآثاره ، ص 35.

[3] – المرجع نفسه ، ص 35.

[4] – ليفي بروفنصال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية رقم الرسالة 22، ص 124.

[5] – المصدر نفسه ، ص 115.

وورد أيضا قوله << حقت عليهم الصيحة فأصارتهم هبا منثورا ، وضربت عليهم الذلة بكل مضرب، وملتمس >>[1]، وهي كناية على العذاب الشديد الذي لحق بهؤلاء النصارى.

وعليه يمكننا القول إن القالمي قد أكثر من استخدام الكناية في نصوصه، وهذا يدل على قدرته البلاغية ، ومعرفته بفنونها ، وهو بهذا يبتعد عن غريب الألفاظ التي تذهب حلاوة الأدب.

ج-3 التشبيه: إن التشبيه في اصطلاح البلاغين له أكثر من تعريف ، فابن رشيق مثلا يعرفه بأنه << صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة، أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه>>[2]، ويعرفه العسكري << التشبيه: الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب منابه أو لم ينب، وقد جاء في الشعر، وسائر الكلام بغير أداة التشبيه>>[3]

وعليه فالتشبيه بيان شيء ما شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف ، أو نحوها ملفوظة تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه .

استعمل القالمي في رسائله باعتباره وسيلة من وسائل التنميق اللفظي والتزيين، ومن أمثلة ذلك ما قاله في إحدى رسائله << وانصبت عليهم الجيوش من كل جانب، ورأو الحياة كأمس الذاهب>>[4]

حيث شبه الحياة بهؤلاء الأعداء بالأمس الذي لا يعود، ويصبح من الماضي عندما انصبت عليهم جيوش الموحدين من كل جهة، ونوعه تشبيه مرسل ذكر فيه المشبه، وأداة التشبيه، والمشبه به وهما (الحياة، الأمس).

---

[1]– ليفي بروفنصال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية رقم الرسالة 22، ص 116.

[2] – ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه، ص 205.

[3] – أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، 293.

[4] – ليفي بروفنصال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، رقم الرسالة 21، ص124.

وجاء أيضا في قوله << قلعوا قلع الصمغة ، وعصبوا عصب السلم، وأصبحوا كهشيم التهبته نفحة ضرم>>[1] ،إذ شبه الأعداء بالهشيم الذي التهبته النيران، ونوعه تشبيه مرسل أو مفصل، حيث حذف المشبه وذكر المشبه به " الهشيم" ووجه الشبه " التهاب" و أداة التشبيه " الكاف" ، كما نجد في قوله << قد هبت لهم رياح النصر تشبيه بليغ ، حيث شبه النصر بالرياح التي تأتي بسرعة .

وهناك تشبيه آخر << وإن كان عظيما في نفسه ، عاليا في جنسه ، فإنه للفتوح الآزفة مفتاح، وبين يدي السعي فيها مصباح >> ، حيث شبه الفتح بالمفتاح والمصباح، وهو تشبيه بليغ ذكر المشبه والمشبه به" الفتح، المفتاح، المصباح" ، وحذف وجه الشبه والأداة.

وبما أن التشبيه ركن من أركان الخيال، لأنه الأقرب إلى الفهم كونه من ألوان التعبير فقد استعمله القالمي في رسائله رغم قلته، إلا أنه قدم دورا مهما في إعطاء جمال فني لرسائله .

لقد نوع الكاتب في استعمال الصور البيانية ، وهذا دليل بين على معرفته بعلوم البلاغة لأن استعمال الصور في النصوص عمل فني بالدرجة الأولى، كما أنها من وسائل إخفاء عيوب النص، فتنوعت من استعارة وكناية وتشبيه رغم قلتها، إلا أنها أدت الغرض المقصود.

يمكننا القول مما سبق:إن رسائل أبي القاسم القالمي الديوانية، اشتملت على الكثير من الأساليب اللغوية و الأسلوبية، مع أنه لم يبالغ في استخدامه لها، ماعدا السجع الذي طغى على معظم رسائله، بما يمنح النص جمالا وروعة، بالإضافة إلى الجرس الموسيقي النابع من الوزن، فلم تطغى هذه الزخارف على المعنى الذي قصده، بل جاءت لتبرز الأفكار بشكل أفضل ، وتزيد من عمق النص.

[1] – ليفي بروفنصال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، رقم الرسالة 21، ص 116.

ومن الملاحظ على الكاتب الاعتدال في توظيفه لمعظم الظواهر اللغوية المدروسة، و إن كان هذا الاستخدام متفاوتا من ظاهرة إلى أخرى ، ويمكن القول إنه ابتعد عن التكلف فاهتم بالمضامين أكثر من أي شيء آخر.

خاتمة

بعد أن تم بحمد الله وفضله، كانت أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة متمثلة فيما يأتي:

1- الازدهار العلمي والثقافي والأدبي الذي وصلت إليه الدولة الموحدية، والتي جعلها تحتل مكانة مرموقة في بلاد المغرب والأندلس أسهم في تطوير فن الترسل.

2- قامت دولة الموحدين على أساس دعوة التوحيد جاء بها " ابن تومرت"، وكان أساسها الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

3 – كان النثر في هذا العهد يحتل مكانة كبيرة، وبالأخص الرسائل، حيث كان في بداياته صورة عن الأدب المشرقي، ثم تطور وأصبح له سماته المتفردة.

4- ظهر فن الرسائل منذ العصر الجاهلي، وكان العامل الأساسي الذي ساعد على نشأته وتطوره الإسلام، وسارت الأمور على هذا النحو إلى أن أسس الأمويون ديوان الرسائل ثم أخذ بالتطور الذي عرفناه في القرن الرابع الهجري.

5- إن حاجة المجتمع إلى فن الرسائل اقتضى ظهور عدة أنواع، لأنها أداة تعبيرية تشتمل على العديد من الموضوعات .

6- حافظت الرسائل في العهد الموحدي على بنية الرسالة، ولكن بعض عناصرها لم تكن تتسم بالاستقرار، وإنما بالتغيير والتعديل المستمر.

7- إن رسائل القالمي تميزت بالإيجاز، والوضوح والسلاسة وابتعدت عن التعقيد و الغريب، ما عدا الرسالة الثانية والعشرون من رسائل موحدية، إذ استعمل فيها بعض الألفاظ الغريبة.

8- تميزت رسائل أبي القاسم القالمي بكثرة الاقتباس من القرآن الكريم، والاستشهاد به والحديث الشريف والتاريخ.

9- اختصت موضوعات القالمي بمعالجة الجانب السياسي، وما لحقه من صراع مع أعدائهم من الداخل والخارج.

10- اختصت رسائل القالمي بتنوع افتتاحيتها، فزاد على الافتتاح المعهود في الرسائل الترضية عن الإمام المهدي، والتعبير عن الخطاب بنون الجمع.

11- نوع الكاتب في توظيفه للظواهر اللغوية الأسلوبية في نصوصه، فلم يقتصر فيها على ألوان دون أخرى، فساهمت هذه الدراسة الفنية في الكشف عن جمالية النصوص الأدبية .

12- حرص الكاتب على التنويع في توظيفه للمحسنات البديعية، واستخدامها باعتدال، ما عدا السجع الذي طغى على رسائله الثلاث.

هذا ما استطعت أن أتوصل إليه بعد هذه الدراسة، وهي محاولة لإنارة نافذة من نوافذ الأدب الموحدي، وأرجوا أن أكون قد وفقت في صياغته، وإخراجه بحلة تليق به.

الملحق

أولا- حياة أبي القاسم عبد الرحمن القالمي

أغفلت كتب التراجم الحديث المفصل عن سيرة الكاتب الفذ الذي تنبه إليه عبد المؤمن بن علي أمير المؤمنين في الدولة الموحدية ، و لم تترجم له ترجمة كافية .

فأبو القاسم القالمي من قالمة وهي << قطر من بونة ــ عنابة ــ ولد وترعرع في قالمة، وقد يكون تعلم بها تعليمه الأول ثم انتقل إلى بجاية التي كانت إحدى عواصم العلم و المعرفة في ذلك الوقت ... وفي بجاية أخذ العلوم المعروفة ، و التي كانت تدرس آنذاك من العلوم النقلية و العقلية >>[1].

و لقد برز في الأدب و اللغة مما يؤهله إلى تولي منصب الكاتب في الدولة الموحدية

اشتغل القالمي بالتدريس الذي مكنته من ضمان دخل محترم يعيش به هو و عائلته وذلك في مسقط رأسه ، و قبل انتقاله إلى بجاية << درس في جوامعها و تولي الإمامة و الخطابة أو الوعظ و الإرشاد ، و ربما الكتابة >>[2].

ثم إن القالمي اشتغل في البداية بالتعليم قبل الكتابة، و لما انتقل إلى بجاية ، وذاع صيته أصبح أستاذا في المراحل العليا من التعليم، و التي كانت تقوم في الجوامع و المساجد آنذاك .

التقى أبو القاسم القالمي مع "عبد المؤمن بن علي" حيث << استولى على بجاية سنة (547هـ ، 1152م) ، وقضى فيها على الدولة الحمادية فألحقه بكتابه >>[3] .

---

[1] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمن القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته و أثاره ، ص11

[2] – المرجع نفسه ، ص 12.

3– شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي عصر الدول و الإمارات(الجزائر ، المغرب الأقصى ، موريتانيا، السودان) ط1، دار المعارف ، دت ، ص 242 .

أخد بدعوة" المهدي بن تومرت" ، و كان من أنصارها، و التقى "بعبد المؤمن بن علي" عندما << غزا إفريقية، وفتح بجاية سنة (547هـ ،1152م) و هو اللقاء الذي أدى بالقالمي إلى الانتقال من بجاية إلى عاصمة الدولة الموحدية (524هـ - 668م/ 1130م- 1269م) مراكش ليصبح هناك شخصية مرموقة كرئيس ديوان الإنشاء >> [1].

و لما توفي عبد المؤمن بن علي خلفه ابنه يوسف و << ظل يكتب له مع عبد الملك بن عياش، و يبدو أنه لم يعمر طويلا في عهده ، و أنه ظل في سنوات معدودة >>.[2]

و الكاتب هو الذي يتولى إنشاء الرسائل للخليفة التي يبعث بها إلى الولاة و الملوك و هذا يدل على المسؤولية الكبيرة التي تحملها أبو القاسم القالمي في دولة كبرى و حدت بلاد المغرب و الأندلس .

تولى القالمي الكتابة للخليفة عبد المؤمن بن علي << سنة (547هـ /1152) إلى غاية و فاته سنة (558هـ / 1162) ، و هذا إلى جانب أبي جعفر بن عطية الذي تولى الوزارة، فجمع بين الكتابة و الوزارة و استمر في هذا حتى سنة (553هـ /1158) حيث خلفه إلى جانب أبي القاسم عبد الرحمن القالمي في الكتابة أبو محمد عياش بن عبد الملك بن عياش ... و كان مساعدا للقالمي أكثر من كاتبا أساسيا >>.[3]

كما ساعد القالي تلميذه أبا الفضل بن أحمد المعروف بابن محشرة من أهل بجاية إلى أن مات فكتب مكانه و يقول الغبريني عنه في كتابه عنوان الدارية << له علم متسع

[1] - إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمن القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته و أثاره ، ص 12.

[2] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات(الجزائر ، المغرب الأقصى ، موريتانيا ، السودان) ص 242 .

[3] - إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمن القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته و أثاره ، ص 14

المدى، و تخصص ووقار بما سبيله فيما يقتدي ، كان متمكن المعرفة، حسن الشارة والصفة، له الهمة السنية، و الأخلاق المردية، و كان وجيها مكرما و مشرفا معظما >>[1].

[1]- أبو العباس الغبريني ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح عادل نويهض ، ط 2 ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1979م ،ص 53.

ثانيا - وفاته

لم تذكر الكتب التي تحدثت عن أبي القاسم القالمي أي تاريخ عن وفاته، و حسب الرسالة " فحص الهلال " سنة (568هـ / 1172)، فإننا يمكن أنى نستنتج أنه توفي بعد هذا التاريخ بقليل قد يكون سنة (569هـ / 1173)، أو (570هـ / 1174م)، أما مكان وفاته و دفنه فنعتقد أنه مراكش، و قد يكون أشبلية باعتبار أن الخليفة أبا يعقوب يوسف أقام بالأندلس من سنة (560هـ إلى 571/ 1171م إلى 1175م)، و أيضا رسالة أبي القاسم عبد الرحمن القالمي التي كتبها للخليفة أبي يعقوب يوسف من اشبيلية ... و يمكن أن يكون قد مرض أو عجز فعاد إلى مراكش في آخر هذه الفترة أين وافته المنية ، وحيث دفنه >>.[1]

وكما لاحظنا من خلال الاطلاع على مجموعة من الكتب، فإن هذه المعلومات حول وفاته تبقى مجرد تخمينات يمكن أن تصحح، و تدفق إلا ما تواصل البحث عنها و لا سيما في المخطوطات التراثية و الوثائق، لأن التراث المغربي بصفة عامة و الجزائري بصفة خاصة ما زال مبعثرا و مهمشا لم يجمع و لم يدرس ويحقق.

[1] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمن القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته و أثاره ،صن ص15، 16.

ثالثا - آثاره

لا تذكر المصادر التي تعرضت لأبي القاسم عبد الرحمن القالمي آثارا مكتوبة له سوى بعض الرسائل التي يكتبها للأمير أو الخليفة " عبد المؤمن بن علي " و يتم التوقيع عليها قبل بعثها إلى الجهات المعنية ، و هذه الرسائل التي وردت في العهد الموحدي منهم ليفي بروفنصال الذي يعد أول من جمع هذه الرسائل الموحدية في كتابه مجموع رسائل موحدية إنشاء كتاب الدولة المؤمنية << المنشور بالرباط ، وكل ماله في رسالتان عن عبد المؤمن >>[1]، الرسالة الأولى التي بعث بها عبد المؤمن بن علي بهزيمة عرب إفريقية تحت رقم 21 << مؤرخة في 24 ربيع الثاني 555هـ /2 مايو 1160م>>[2]و الثانية تحت رقم 22 و لم يذكر تاريخ كتابتها .

ثم نشر أحمد عزاوي مجموعة أخرى بعنوان رسائل موحدية "مجموعة جيدة" << في جزئين ترجم في الأول للقالمي و نسب إليه من هذا المجموع أربعة رسائل[3] هي على التوالي حسب تسلسل ترقيمه 21، 22، 25 ،28 و يبدو حسب المصادر أن هذا هو العدد المتوصل إلى نسبته لأبي القاسم عبد الرحمن القالمي >> [4]

هذه هي أهم الرسائل التي كتبها أبي القاسم عبد الرحمن القالمي و تعد من أهم آثاره التي وصلتنا و قد تعرض له الباحثون في محاولاتهم لجمع الرسائل الموحدية.

---

[1] – شوقي ضيف ، عصر الدول و الإمارات ، ص 242.

[2] – إسماعيل سامعي ، أبو القاسم عبد الرحمن القالمي ،ص ص 16 ،17.

3– الرسالة التي بعث بها الخليفة أبي يعقوب يوسف ، يخبر فيها بإرسال جيش الموحدين لصد غزاة النصارى ، وردت في زوائد كتاب زوائد العطاء ص 19، 21، وهي نفسها الموجودة في رسائل موحدية للكاتب ليفي بروفنصال تحت رقم 22 منسوبة إلى القالمي ، أما أحمد عزاوي فقد ذكرها في رسائل موحدية مجموعة جديدة منسوبة أبي الحسن بن زيد وهناك بعض الاختلاف في هذه الرسالة ، انتهت هذه الرسالة في رسائل موحدية "منه ويمه"، أما في رسائل موحدية مجموعة جديدة انتهت " وهو حسبنا ، ونعم الوكيل ولنا بكل خير كفيل ، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى و بركاته ، كتب في الرابع والعشرين من شعبان سنة ثمان وستين ، وخمس مائة.

[4]– المرجع نفسه، ص 17.

قائمة المصادر والمراجع.

القرآن.

أولا- المصادر.

1- ليفي بروفانصال: مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، دط، رباط الفتح، المغرب الأقصى، 1941م، ج10.

ثانيا- المراجع.

1- أحمد توفيق المدني:هذه هي الجزائر ويليه كتاب الجزائر ، دار البصائر،الجزائر ، 2009م.

2- أحمد محمود المصري :رؤى في البلاغة العربية دراسة تطبيقية لمباحث علم البديع ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 2008م.

3- أحمد عزاوي ، رسائل موحدية مجموعة جديدة ،ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1416هـ، 1995م ج2

4- إسماعيل سامعي،أبي القاسم القالمي كاتب الدولة الموحدية حياته وأثاره، دط، دار الفجر، 1428هـ 2006م.

5- أمين أبو الليل وآخرون : تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ط 1، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، 2005م.

- أمين أبو الليل وآخرون: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ط1 مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان الأردن 2006م.

6- أنطوان نعمة وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة ،إشراف صبحي حموي، ط 2، دار المشرق، بيروت، لبنان، دت.

7- بن رمضان شاوش وآخرون: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر ، ط 1، حي الكيفان ،تلمسان ، 1422هـ 2001م.

8- التنوخي محمد:المعجم المفصل في الأدب ، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان 1993م، ج2.

9- جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، د ط ، مطبعة الهلال ، 1930م، ج 2.

10- جمال طه: مدينة فاس في عصر المرابطين و الموحدين ، ط1 ، دار الوفاء للطباعة و النشر، الإسكندرية / القاهرة 2002م .

11- جمعة حسين يوسف الجبوري :المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين و الموحدين ، ط 1 ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، 1433 هـ - 2012 م.

12-حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي ، د ط ، دار الجيل ، بيروت، لبنان 1426هـ،2005م.

13- رضا عبد الغني الكساسبة :النثر الفني في عصر الموحدين وارتباطه بواقعهم الحضاري، دط ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 2004 م.

14- سامي يوسف أبو زيد :الأدب الإسلامي و الأموي ،د ط، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، عمان ،ط1، 1433هـ ، 2012م.

- سامي يوسف أبو زيد : الأدب العباسي النثر ، ط 1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان، 1432هـ 2011م.

- سامي يوسف أبو زيد : الأدب الأندلسي ، ط 1 ن دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، 1433 هـ - 2012 م.

15- سعدون نصر: الله تاريخ المغرب السياسي في المغرب، ط1 ، دار النهضة العربية بيروت ، لبنان ، 2003 م.

16- شوقي الجمل : المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر(الجزائر ليبيا المغرب موريتانيا)، دط ، المكتب المصري للتوزيع و المطبوعات ، القاهرة 2007م.

- شوقي ضيف: سلسلة تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ،ط 1، دار المعارف ، مصر القاهرة، 1981م.

- شوقي ضيف : سلسلة تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني ، ط 12، دار المعارف ، 2001م ، ج2.

- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي عصر الدول و الإمارات(الجزائر ، المغرب الأقصى ،موريتانيا ،السودان)،ط1، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2003م.

- شوقي ضيف : الفن و مذاهب في النثر العربي ، ط8، دار المعارف ، د ت.

- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي عصر الدول و الإمارات(الجزائر المغرب الأقصى ، موريتانيا، السودان) ،ط1، دار المعارف ، دت.

- شوقي ضيف: سلسلة تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ،ط 1، دار المعارف ، مصر القاهرة، 1981م.

17- الطاهر محمد توات: أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنيين السابع و الثامن دط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1993م.

18- أبوالعباس بن أحمد بن أحمد عبراس:عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح عادل نويهض ، ط 2 ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1979م.

19- عبد الرحمن بن محمد الجيلاني : تاريخ الجزائر العام، ط 4، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، د ت.

20- عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، د ط، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، 1998م،ج2.

-عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، د ط، مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية ، 2008.

- عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس، د ط ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، د ت.

- عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم البديع، دط، دار النهضة العربية بيروت لبنان، د ت.

- عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية "علم المعاني"، د ط، دار النهضة العربية بيروت لبنان، دت.

21- عبد القادر جغلول: مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم و الوسيط، ترجمة فوضيل الحكيم، ط 1، دار الحداثة للطباعة و النشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1982 م.

22- عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط1، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، 1961 م.

23- ابن رشيق القيرواني ،أبو علي الحسن:العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط3، مطبعة السعادة،1963م.

24- المراكشي، عبد الواحد بن علي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، و محمد العربي العلمي ، ط 1 مطبعة الاستقامة ، القاهرة 1998 م.

25- عثمان موافي: في نظرية الأدب من قضايا الشعر و النثر في النقد العربي القديم ، دار المعرفة الجامعية ، للطبع و النشر و التوزيع ، الإسكندرية (2) ، 2009 م.

26- علي بن محمد الفاسي :ابن القطان ، نظم الجمان في أخبار الزمان ، تحقيق محمد علي مكي ، د ط ، طباعة جامعة محمد الخامس، الرباط ــ المغرب ،دت.

27- عيسى خليل محسن: أمراء الشعر الأندلسي ، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان الأردن، 1428هـ 2007م.

28- غالب حسين : بيان العرب الجديد ، ط 1، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1995م

29- فايز عبد النبي فلاح القسي :أدب الرسائل في المغرب في القرن الخامس الهجري، ط1 ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان الأردن، 1409هـ 1989م.

30- فوزي عيسى :الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ، ط 1 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الإسكندرية ،2007م.

31- الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ،تحقيق أبو الوفاء نصر الدين الهوريني ، دار الكتب العلمية ، صبحي حمودي ، بيروت لبنان ، ط 2 ، 2007 م.

32- الزمخشري، القاسم محمود بن عمر : أساس البلاغة ، ط 1، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، 1412هـ ـ 1992م.

33- قدامة بن جعفر: نقد النثر، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1989م.

34- مجموعة من الأساتذة: الأدب و الأنواع الأدبية، ترجمة طاهر حجاز، ط1، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، دمشق 1985م.

35- محمد أبو الفضل وآخرون: أيام العرب في الإسلام، ط4، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا، بيروت، 1973م .

36- محمد المنوني: الآداب و العلوم و الفنون على عهد الموحدين، ط2، مطبوعات دار المغرب للتأليف و التوحيد و النشر،الرباط، 1977م.

37- محمد بن تاويت و آخرون :الأدب المغربي، ط1، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1960 م.

38- محمد مجيد السعيد: الشعر في عهد المرابطين و الموحدين بالأندلس ، ط 3 ، دار الراية للنشر و التوزيع، المملكة الأردنية ، 1429 هـ - 2008 م.

39- محمد محمود الدروبي: الرسائل الفنية في العصر العباسي ، ط 1، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع ، 1999م.

40- محمد مسعود جبران: فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب المضامين والخصائص الأسلوبية ،ط 1، دار المدار الإسلامي ، بنغازي ـ ليبيا ، 2004م، ج2.

41- محمد يونس عبد العال: في النثر العربي قضايا وفنون ونصوص ، د ط، اشراف محمد علي مكي ، الشركة العالمية للنشر لونجمان ،1996م.

42- محمود عبد الرحمان صالح: فنون النثر في الأدب العباسي ، ط1 ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، 1432هـ 2011م.

43- مصطفى البشير قط: مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم ، ط د ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، الأردن ـ عمان ، 2009م.

44- منظور : لسان العرب ، ضبط نصه وعلق حواشيه،خالد رشيد القاضي ، دار صبح اديسوفت، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1427 هـ - 2006 م.

45- نصار حسين: نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ط1، مكتبة النهضة المصرية 1954م.

46- نعيمة العقريب: قصيدة حيزية دراسة تحليلية، دط، دار الفيروز للإنتاج الثقافي 2009م.

47- نهلة شهاب أحمد: تاريخ المغرب العربي، ط1، دار الفكر، عمان، 1430هـ 2010م.

48- أبوهلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق محمد البيحاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1406هـ،1986م.

ثالثا - الرسائل

1- فيصل حسين طحيم العلي: فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد، أطروحة ماجستير، إشراف محمد محمود قاسم نوفل، جامعة النجاح الوطنية، نابل فلسطين، 1422هـ 2001م.

تكسب هذه الدراسة أهمية خاصة نظرا لطبيعة الموضوع، وهو موضوع بكر، فليس هناك كتاب جامع أو بحث مستقل انبرى للحديث عنه، فالموضوع هو خصائص فن الرسالة عند أبي القاسم عبد الرحمان القالمي، والترسل فن أدبي نثري قل من الدراسات التي تهتم به .

تناولت في هذه الدراسة المميزات الفنية لرسائل القالمي، كل ذلك من خلال هذه الدراسة التي نهجت في عرضها على مدخل وفصلين.

تعرضت في المدخل على الظروف السياسية السائدة في دولة الموحدين في بلاد المغرب، وأشرت إلى أهم أمرائهم الذين يعتبرون الكيان السياسي الذي قامت عليه الدولة وألقيت الضوء على الحياة الثقافية والحركة الأدبية.

وفي الفصل الأول تحدثت عن النثر والترسل لغة واصطلاحا، وعن مراحل الترسل التي مر بها، ثم أهم أنواع الرسائل وبنيتها، أما الفصل الثاني فجعلته للدراسة الفنية تعرضت فيه للخصائص والسمات الفنية لرسائل القالمي، وذكر أهم النتائج التي توصلت إليها أهمها: اختصت موضوعات القالمي بمعالجة الجانب السياسي، وما لحقه من صراع مع أعدائهم من الداخل والخارج، كما حرص على التنويع في توظيفه للمحسنات البديعية واستخدامها باعتدال ما عدا السجع الذي طغى على رسائله الثلاث، ضف إلى ذلك أنها تميزت بكثرة الاقتباس من القرآن الكريم، وذلك من أجل إقناع الناس بدعوتهم الموحدية وذيلتها بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

وتبين لي من هذه الدراسة أهمية فن الترسل كفن أدبي راق من فنون النثر في الأدب العربي، وأن هذه الفن له دور في رقي الذوق العربي، والأدبي و السمو الفكري.

Summary

This study aquise a great importance, because of the nature of this issue . there is no entire book of free research to speak about . the issue is about the properhies of messagerie art for Abi Elkassim Abd rrahman Elkalimi , which is a prose literature art, few studies care about it.

We have in this study the artistic attributes of Elkalimi messages, which include an introduction and too parts .

We exposed in the introduction the political condition prevailing in the Unitarian nation in Maghreb country, and mentioned their most important lords who appreciate the political entity that the country based in and indicated the cultural and literature lives.

In the first part we speak about prose, messagerie form, language, and its phases. Then the main sorts of the messages and its structure. Ine the second part we studied it artistry we escposed the alkali messages property, characteristics giving the most important results which are: elkalimissues treated the political side and the internal and escternal conflicts' with their enemies as he was carful to fun chin the metaphare, rhyme in addition it was characterized by the quotation from the holy Koran to convince people about their Unitarian invitation and the main reference relayed on.

It appeared to us within this study the importance of the messages art as one of the literature prose art in the Arabian literature, and its role in the improvement of the Arabian lit taste, intellectual highness.

We wish that our study will benefit all students, researchers in the Arabian lit, prose.

فهرس الموضوعات

مقدمة.....أ

مدخل:

الحياة السياسية والثقافية في عهد الدولة الموحدية.....3

أولا – الحياة السياسية **5**

1 خلفاء الموحدين.....8

ثانيا – الحياة الثقافية و الأدبية.....**10**

أولا - أهم المراكز الثقافية.....11

1- المراكز الثقافية بالمغربين الأوسط و الأدنى و الأقصى 11

أ - المغرب الأوسط (الجزائر).....**11**

أ–1تيهرت.....11

أ–2بجاية.....11

أ–3 تلمسان.....12

ب - المغرب الأدنى (تونس) 12

ج - *المغرب الأقصى* 12

ج-1مراكش.....12

ج-2 فاس.....13

ج-3 الرباط.....13

2 - مراكز الثقافة بالأندلس.....15

ثـــانيا- المؤسسات التعليمية في الدولة الموحدية.....16

1 - الجوامع (المساجد).....16

2 - الـــمدارس.....17

3- الزوايا.....17

4-الكتاتيب.....18

ثالثا- أهم العلوم التي اشتهرت بالمغرب في عهد الموحدين.....18

1 - العلوم الدينية 18

أ- علم القراءات 18

ب- التفسير.....19

ج - الحديـــث 19

د- علـــم الكلام.....19

2- العلوم اللغوية والنحوية.....20

3- العلوم الأدبية 21

4- العلوم الفلسفية.....22

الفـــصل الأول:

فن الترسل قراءة في المصطلح و السيرة.

أولا- تعــريف النـــثر لغة واصطلاحا.....26

ثانيا - تعريف الرسائل لغة واصطلاحا.....29

ثالثا - نشأة وتطور فن الرسائل.....34

1- العصر الجاهلي.....34

2- العصر الإسلامي.....35

3-العصر الأموي.....39

4 العصر العباسي.....41

5- العصر الأندلسي.....44

6- العصر المغربي.....46

رابـــعا- أنـــواع الرسائـــل.....48

1- القسم الخاص.....48

أ- الرسائل الإخوانية.....49

ب- الرسائل الأدبية.....51

2- القسم الرسمي.....52

خامسا - بنيتها.....55

الفصل الثاني :

الخصائص الفنية والأسلوبية لرسائل أبي القاسم القالمي.

أولا - قراءة في المضامين.....60

1- الرسالة الأولى تحت رقم 21 في رسائل موحدية 60

2- الرسالة الثانية تحت رقم 22 في رسائل موحدية 61

3- الرسالة الثالثة بعنوان (رسالة الخليفة يوسف إلى الطلبة الغزاة بإفريقية).....61

ثانيا - قراءة في الفني والجمالي.....62

1- البناء اللغوي.....63

أ- المعجم اللغوي.....63

ب- التراكيب.....68

ب-1 الروافد الدينية.....68

ب-2 الروافد التاريخية.....71

2- البناء البلاغي.....73

أ- علم البيان.....73

أ-1السجع.....73

أ-2 الجناس.....78

أ-3 الطباق.....80

أ-4 التورية.....81

أ-5 المقابلة.....83

ب- علم المعاني.....84

ب-1 التكرار.....84

ب-2 الترادف.....86

ب-3 الغريب.....88

ب-4 الضمائر.....89

ب-5 الأفعال.....89

ب-6 الخبر والإنشاء.....91

ج- علم البيان.....93

ج-1 الاستعارة.....93

ج-2 الكناية.....94

ج-3 التشبيه.....95

خاتمة.....99

ملحق.....102

قائمة المصادر والمراجع.....108

الملخص.....115

فهرس الموضوعات.....117